

(دمشق) كانون الثاني سنة ١٩٢٦م الموافق جمادى الآخرة ورجب سنة ١٣٤٤هـ ٦١

المجمع العلمي العربي

« في سنة ١٩٢٥ »

الرئيس : السيد محمد كرد علي

« الاعضاء العاملون والمؤازرون »

السادة :	محل الاقامة
١ اسعد الحكيم	دمشق
٢ الياس القدسي	«
٣ انيس سلوم (عامل)	«
٤ بهجة البيطار	«
٥ خليل مردم بك	«
٦ رشيد بقدونس	«
٧ سليم البخاري	«
٨ سليم الجندي	«
٩ سليم عنحوري	«
١٠ عارف النكدي	«
١١ عبد القادر المبارك	«
١٢ عبد القادر المغربي (عامل)	«

« الاعضاء العاملون والمؤازرون »

السادة :	محل الاقامة
١٣ عبد الله رعد	دمشق
١٤ فارس الخوري	«
١٥ مرشد خاطر	«
١٦ مسعود الكواكبي	«

« الاعضاء المراسلون »

١٧ امين الريحاني	بيروت
١٨ بولس الخولي	«
١٩ جبر ضومط	«
٢٠ شكيب رسلان	«
٢١ عبد الباسط فتح الله	«
٢٢ عبد الرحمن سلام	«
٢٣ عبد الله البستاني	«

« الاعضاء المراسلون »

		محل الاقامة
٢٤	فيليب حتي	بيروت
٢٥	فيليب طرازي	〃
٢٦	لويس شيخو	〃
٢٧	عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٢٨	احمد رضا	النبطية
٢٩	جرجي يني	طرابلس الشام
٣٠	سليمان احمد	اللاذقية
٣١	ادوارد مرقص	〃
٣٢	محمد زين العابدين	انطاكية
٣٣	بدر الدين النعساني	حلب
٣٤	جرجس شلحت	〃
٣٥	جرجس منش	〃
٣٦	راغب الطباخ	〃
٣٧	عبد الحميد الجابري	〃
٣٨	عبد الحميد الكيالي	〃
٣٩	قسطاكي الحمصي	〃
٤٠	كامل الغزي	〃
٤١	ميخائيل الصقال	〃
٤٢	اسعاف النشاشيبي	القدس

		محل الاقامة
٤٣	سعيد الكرمي	طول كرم
٤٤	رضا الشبيبي	النجف الاشرف
٤٥	امين المعلوف	بغداد
٤٦	انستاس الكرملي	〃
٤٧	جميل صدقي الزهاوي	〃
٤٨	عز الدين علم الدين	〃
٤٩	كاظم الدجيلي	〃
٥٠	معروف الرصافي	〃
٥١	احمد الاسكندري	القاهرة
٥٢	احمد تيمور	〃
٥٣	احمد زكي	〃
٥٤	احمد عيسى	〃
٥٥	اسعد خليل داغر	〃
٥٦	رشيد رضا	〃
٥٧	يعقوب صروف	〃
٥٨	زكي مغامز	الاستانة
٥٩	حسن حسني عبد الوهاب	تونس
٦٠	محمد بن ابي شنب	الجزائر
٦١	محمد اجمل خان	الهند

✲ ✲ ✲

	« الاعضاء المراسلون »		محل الاقامة
٦٢	مارسيه	Marçais	تونس
٦٣	ماسه	Massé	الجزائر
٦٤	كي	Guy	ازمير
٦٥	ميشو بيلير	Michaux-Bellaire	طنجة
٦٦	هوار	Huart	باريز
٦٧	فرّان	Ferrand	〃
٦٨	دِسو	Dussaud	〃
٦٩	ماسينيون	Massignon	〃
٧٠	بوفا	Bouvat	〃
٧١	جويدي	Guidi	ايطاليا
٧٢	نالينو	Nallino	〃
٧٣	آسين	Asin	اسبانيا
٧٤	لوبس	Lopès	البرتقال
٧٥	مونته	Montet	سويسرا
٧٦	هيس	Hess	〃
٧٧	سنوك هورغرن	Snouck-Hurgronje	هولانده
٧٨	هوتسما	Houtsma	〃
٧٩	ارندونك	Arendonk	〃
٨٠	مرجليوث	Margoliouth	انكلترا
٨١	بفن	Bevan	〃
٨٢	هومل	Hommel	المانيا
٨٣	ساخاو	Sachau	〃
٨٤	بروكلمن	Brockelmann	〃
٨٥	هوروفيتز	Horovitz	〃

	« الاعضاء المراسلون »	محل الاقامة
٨٦ هرزفلد	Herzfeld	المانيا
٨٧ هارتمان	Hartmann	«
٨٨ ميتفوخ	Mittwoch	«
٨٩ سترستن	Zetterstéen	السويد
٩٠ اوستروب	Œustrup	الدانيمارك
٩١ بول	Buhl	«
٩٢ بدرسن	Pedersen	«
٩٣ موجيك	Mzik	النمسا
٩٤ ماهلر	Mahler	المجر
٩٥ كوفالسكي	Kowalski	بولونيا
٩٦ كراجكوفسكي	Kratchkovsky	روسيا
٩٧ موزل	Musil	تشيكوسلوفانيا
٩٨ مكدونالد	Macdonald	اميركا
٩٩ كارسيكو	Karsikko	فنلاندا (١)

(١) والاعضاء الذين فقدهم المجمع هم المرحومون : الشيخ طاهر الجزائري في دمشق . والسيد نخله زريق في القدس . والسيد اغناطيوس غولدصيهر في المجر . والسيد مرتين هارتمان في برلين . والسيد رينه باسه في الجزائر . واحمد كمال باشا والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي في القاهرة . والسيد محمود شكري الالوسي في بغداد . والسيد غريفيني والسيد رفيق العظم في القاهرة . والسيد حسن بيهم في بيروت . والدكتور صالح قنباز في حماة . والسيد مالنجو في دمشق . والسيد براون في كمبريج . أجزل الله ثوابهم .

آثار الشهباء والفيحاء (١)

« ومدرسة ضيفة خاتون »

تنقسم مصانع الشام الى قسمين مدني وديني ، فالمدني القلاع والحصون والابراج والمناور والمراصد والقصور والجسور والسكور والافنية والموانئ والطرق والقبور والمستشفيات ودور الزمنى والضيافة ، والديني المعابد والبيع والاديار والكنائس والجوامع والمساجد والمدارس والرُبُط والخانقاهات والملاجئ وما شاكلها . والكلام على كل مادة من هذه المواد يحتاج الى محاضرة بل محاضرات ولذلك نقصر حديثنا الآن على المدارس ونقابل بين ما قام من نوعها في هذه المدينة الطيبة وبين ما في دمشق الفيحاء منها .

انشأ العرب الحاكموا الشام مصانع كثيرة وكان بنو غسان يتبارون في البيع وزينها أقاموا منها كثيراً كما عمروا الاديار والصروح والقناطر ، وكذلك فعل النبط والتنوخيون ، وكلهم عرب ايضاً . والغالب ان هندستهم كانت ابنة الهندسة الرومانية . واليونانية تختلف عنها قليلاً في بعض الرسوم والتفاصيل . ولما فتح العرب المسلمون هذا القطر لم يكن لهم هندسة خاصة .

وكان الأمويون اذا أرادوا إقامة بناء عظيم تقدم مملكة بيزنطية الصناع والرسوم التي يراد النقل عنها ، فقد جمع الوليد لما أراد بناء الجامع الاموي لبنائه حذاق فارس والهند والمغرب والروم فجاء البناء من صنع بنائين مختلفين اجمل ما في الهند وفارس وآثينة ورومية من طرز البناء وأخذ ربع أعطيات اهل دمشق تسع سنين وكانوا خمسة واربعين الفاً ليستعين بها على عمارة الجامع وأنفق فيه خراج الشام سنتين وفي رواية اربعمائة صندوق كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار وكان خراج الشام على عهد بني أُمية الف الف دينار ومائتي الف دينار .

قال المقدسي : والجامع جامع دمشق أحسن شيء للمسلمين اليوم (في القرن الرابع) ولا يعلم لهم مال مجتمع اكثر منه وأعجب شيء فيه تأليف الرخام المجزع كل شامة الى اختها ،

---

(١) من محاضرة للسيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي ألقاها في المدرسة الفاروقية بحلب في ربيع ١٣٤١ هـ (١٩٢٣) م .

ولوان رجلاً من اهل الحكمة اختلف اليه سنة لأفاد كل يوم صنعة . وقال ايضاً : رأى الوليد الشام بلد النصارى ورأى لهم فيها بيعاً حسنة قد أفتن زخارفها وانتشر ذكرها ، كالقيامة وبيعة لدّ والرّها ، فاتخذ للمسلمين مسجداً في دمشق شغلهم به عنهن وجعله احدى عجائب الدنيا ، او كما قال الخليفة المأمون بني على غير مثال شوهد .

قال الثعالبي : كان الأغلب على الوليد بن عبدالملك حب البناء واتخاذ المصانع واعتقاد الضياع وكان الناس في ايامه يخوضون في وصف الابنية ويحرصون على التشييد والتأسيس ويولعون بالضياع والعمارات . وقال آخر : كان الوليد عند اهل الشام محبوباً لانه صاحب عمارة وبناء ، عمر الضياع ووضع المنار في الطرقات واعطى المجذّمين وافردهم وقال لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً .

فالعرب اذاً أخذوا اولاً الهندسة عن الفرس والبيزنطيين وغيرهم من الامم التي كانت لها حضارة جميلة وجودوها وزادوا عليها . قال ستنيبوبوس : لم يكن للعرب كما للرومان صناعات وطنية خاصة بهم ، فكانوا اذا احتاجوا الى قصور او جوامع يعمرونها اولاً على الطرز الفارسي او البيزنطي مثل جامع دمشق ، ولكن مالبثت الصناعات الفارسية والبيزنطية ان اختلطت ونشأ منها صناعة جديدة هي الصناعة العربية وأجمل هذه الصناعات الجوامع والقصور .

وليس لدينا من مصانع الامويين في الشام غير هندسة الجامع الاموي وبعض محال من المسجد الاقصى على كثرة ماشادوا من الجوامع والقصور والحصون والمدن لان العباسيين لما استولوا على هذه الديار نقضوا آثار الامويين كلها ولم يبقوا على غير جامع دمشق وجامع القدس ، قال الجاحظ من شأن الملوك ان يطمسوا على آثار من قبلهم وان يميتوا ذكر اعدائهم فقد هدموا بذلك السبب المدن واكثر الحصون كذلك كانوا ايام العجم وايام الجاهلية وعلى ذلك هم في الاسلام كما هدم عثمان صومعة غُمدان وكما هدم الآطام (الحصون) التي كانت بالمدينة وكما هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر وكما هدم أصحابنا اي العباسيون بناء مدن الشامات (اي الشام) .

تجلت الهندسة العربية في هذه الديار في القرن الرابع فما بعده على الاغلب ونشأ لها مهندسون سوريون عرب انتهت الينا بعض اسمائهم وبعض نموذجات من أبنيتهم ولاسيما

المدارس ولم تكن المدارس معروفة في هذه الديار قبل نور الدين محمود بن زنكي بقليل فانه شاد منها جملة صالحة وهو اول من أسس دور الحديث والقرآن والفقه وأول من بنى دار العدل في دمشق لكشف الظلامات وبنى الخوانق والرُّبط وقد مشى على اثره في هذا الطريق المحمود صلاح الدين يوسف بن ايوب وآل بيته الكرام وما من عين من أعيانهم الا وله في دمشق وحلب وحماة والقدس وغزة وبعلبك ومنبج والمعرة مدارس أبقت الايام على بعضها نموذجاً من حسن الهندسة وارتقائها في تلك العصور ومثالاً ينم عن ارادة الخير والتدين الحقيقي ٠

ذكروا ان البلاد قبل نور الدين كانت خالية من العلم واهله فصارت في ايامه مقر العلماء والفقهاء والصوفيـة لصرف همته الى المدارس والربط وترتيبه امورهم وقصده العلماء من خراسان وغيره وكان يكرم الصوفية والفقهاء والعلماء ٠

ولم تسعد هذه الديار بعد عهد قليل من خلفاء الامويين والعباسيين سعادة حقيقية مثل سعادتها على عهد الدولتين النورية والصلاحية فمعظم ماتراه من المصانع هو من صنعهم وصنع أمرائهم بل خدامهم وعتقائهم ٠ ولما انقضت الدولة الايوبية تراجع عمران هذه الديار تراجعـاً محسوساً وعاشت قرنين وثلاثة بفضل تلك الحسنات وبقوة التسلسل المنبعثة من ذاك الفضل الشامل والعقل الكامل ٠

* * *

زرتُ بالامس في جملة مازرته من مدارس الشهباء القديمة مدرسة أخذطرز بنائها بمجامع النفس وذكّرها ماضياً باهراً لهذه الامة ، والماضي قد يفرح ويحزن ٠ تفرح به اذا كان جليلاً وتنقبض اذا ناظرت بينه وبين الحاضر ، خصوصاً اذا كان هذا ضئيلا ٠ رأيت مايدهش من مدرسة الفردوس التي أنشأتها الملكة ضيفة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين ابي بكر محمد بن ايوب وكانت جعلتها تربة ومدرسة ورباطاً ورتبت فيهـا خلقاً من القراء والفقهاء والصوفية ٠ وضيفة خاتون ولدتها امها في غير دار ابيها حيث كانت امهـا ضيفة فسماها ابوها ضيفة ، توفيت سنة ٦٤٠ ه ودفنت بقلعة حلب وولدها مدفون بها ايضاً ، مات ابنها فتولت زمام الحكم في حلب وتصرفت فيها تصرف

السلاطين ست سنين فأبانت عن ذكاء وجودة رأي ، وان النساء اذا تعلمن لا يصعب عليهن ان يبلغن مبلغ الرجال ، وقل ان حدث في تاريخ هذه البلاد ان تولت امرأة امور الدولة وأحسنت السياسة ، ولا نذكر الآن في مصر غير شجرة الدر المشهورة التي ساست الملك فأحسنت سياسته في الجملة . واما ملكة حلب صاحبة هذا الاثر النفيس فكانت متينة في سياستها أثنى عليها معاصروها ، ويرجع الفضل في ذلك الى من كانوا المشاورين لها من فضلاء اهل حلب اذ ذاك ، ولا عجب فقد قامت في هذه المدينة غير مرة مشيخة من اهلها اي جمهورية في القرون الوسطى لاحوال اقتضت ذلك من تخالف بين اهل السلطان اولموت ملكها اواميرها فكانت الامور تسير بالشورى على سداد . ومن ذلك ان دولة بني مرداس بحلب لما انقضت عادت رياستها شورى في مشيختها وطاعتهم لمسلم بن قريش صاحب الموصل وكان ذلك سنة ٤٧٢ فأدار شؤونها الداخلية رجال منهم فأحسنوا السياسة وأمنت قواعد العدل واستقر الامن في نصابه .

قرأت في حائط مدرسة الفردوس هذا : (بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أنشأته ذات الستر الرفيع والحجاب المنيع عصمة الدنيا والدين ضيفة خاتون بنت السلطان الملك العادل والدة السلطان الملك العزيز بن الملك الظاهر في ايام مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب ناصر امير المؤمنين خلد الله ملكه) . وقد كتب على محرابها البديع (عمل حسان بن عفان) والغالب ان مهندس البناء شخص آخر عمره مثالاً جميلاً من عمل صنع الايدي وهو يشبه بعض المدارس الكبرى في عهد الدولة الايوبية في دمشق كالمدرسة العادلية التي جعلت اليوم دار المجمع العلمي العربي وفيها متحفه وهي مثال الهندسة العربية بواجهتها ، بناها العادل ابو بكر بن ايوب هذا البناء المحكم الذي لا نظير له في بنيان المدارس كما في الروضتين . ومدرسة الفردوس على ما تحيفها من الخراب ، وما أدخل فيها و بجانبها من البناء الذي عور به البناء الاصلي البديع ، تحتاج لقليل من العناية حتى تعود الى ما كانت عليه تذكرنا بعهد الاجداد وفضلهم علينا ، بما خلفوه لنا ولم نحسن استعماله والاحتفاظ به . وهي كما تعلمون في باب المقام ، وهناك مدارس وربط وتُرب دفن فيها أعاظم علماء الامة من المحدثين والفقهاء والمؤرخين والادباء في بسيط من الارض اذا تعهد يصبح حديقة غناء

وبقربها مدفن آل الشحنة مؤرخي حلب وفقهائها ، وهي الأسرة التي تسلسل فيها العلم عدة بطون كما تسلسل في القرن السادس والسابع العلم والقضاء في بيت بني العديم الحلبيين خمسة بطون ونعمت البيوت . قال ياقوت : ولاهل حلب عناية باصلاح أنفسهم وتثمير الاموال فقلما ترى من ناشئتها من لم يتقيل أخلاق آبائه في ذلك ، فلذلك كان فيها بيوتات قديمة معروفة بالثروة يتوارثونها و يحافظون على قديمهم بخلاف سائر البلدان . قال هذا اوائل القرن السابع ولا يزال الى اليوم أثره ظاهراً ولو على ضعف .

بنيت اول مدرسة في حلب سنة ٥١٧ هـ وهي المدرسة الزجاجية أنشأها بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار صاحب حلب ولما أراد بناءها لم يمكنه الحلبيون من ذلك اذ كان الغالب عليهم التشيع فكان جماعته يبنون في النهار والشيعة تنقض مابنوه في الليل . وكان التشيع مستحكماً في الحلبيين فقضى عليه صلاح الدين وأسرته قضاءه عليه في مصر بقرض الدولة الفاطمية او العبيدية . وقد ذكر المؤرخون ان الدولة الفاطمية أهلكت نحو اربعة آلاف عالم من علماء المالكية مدة قرنين وقد اصاب الشام بالطبع ان صحت الرواية قسطها من هؤلاء المقتولين لتشددهم في التسنن . قال ابن خلكان ان حلب كانت قبل ان يتصل ابن شداد بخدمة الملك الظاهر قليلة المدارس وليس بها من العلماء الا نفر يسير ، فاعتنى بترتيب امورها وجمع الفقهاء بها وعمرت في ايامه المدارس الكثيرة . والزجاجية هذه تولت مشيختها ومشيخة العادلية فاطمة بنت قريمزان المتوفاة سنة ٩٦٦ هـ انتهت اليها رياسة اهل زمانها بحلب أخذت العلم عن زوجها وهي أشبه بعائشة الباعونية في هذا القرن ايضاً بدمشق التي زينت الشام بل جملت اهل الاسلام بعلمها وأدبها .

ومن مدارس حلب النورية والعصرونية والصاحبية والظاهرية المعروفة بالسلطانية والاسدية والشعيبية والشرفية والرواحية والبدرية والزبدية والقواميـة والشادبختيـه أنشأها الامير جمال الدين شادبخت نائب نورالدين محمود بحلب وولي تدريسها كمال الدين بن العديم سنة ٦١٦ وكانت حلب يومئذ أعمر ما كانت بالعلماء والمشايخ والفضلاء الرواسخ كما قال ابن شداد . وقد كانوا في القرن الذي قبله احصوا فقهاء دمشق فكانوا ستمائة فقيه ، وكان صلاح الدين رحمه الله يطلق لعلماء دولته في السنة ثلاثمائة الف دينار عدا الهبات والعطايا والاقطاعات .

ومن مدارس حلب الهروية والبلدقية والقيمرية والحلاوية والاتابكيـة والحدادية والجردكية والمقدمية والجاولية والطومانية والحسامية والخسروية والعثمانية والقليجيـة والفطيسية والجدية والكتاوية والالجائيـة والكينوشية او الكهنبوشية والكاملية واليشبكية والورمشية والسفاحية والدلغادرية والصهيبية وهذه كانت وراء باب انطاكية مباشرة قامت على انقاض اقدم جامع في حلب بناه ابو عبيدة قال سو برنهيم الاثري ان النقوش الكثيرة والهندسة القديمة والكتابات الكوفية الموجودة في هذا الباب تجعله في الدرجة الاولى من المكانة ومنه يدرس التحول التام المجهول سره حتى الآن الذي تم على عهد نور الدين في أسلوب الهندسة وفي صور الكتابة والطرز السياسي في الكتابات ٠

ومن مدارس حلب الاسعردية ومدرسة النقيب والدقاقية والجمالية والعلائيـة والكمالية العديمية والاتابكية والسيفية ٠ هذا ما كان فيها من مدارس الشافعيـة والحنفية وذلك عدا مدارس المالكية والحنابلة وهي قليلة وليس في تاريخ حلب ما يدل على انه كان فيها كما في دمشق دور للقرآن والحديث خاصة بل فيها دار القرآن الحبشية فقط ٠ وذكر الرحالة ابن جبير في المئة السادسة انه كان يتصل من الجانب الغربي من جامع حلب مدرسة للحنفية تناسب الجامع حسناً واتقان صنعة فهما في الحسن روضة تجاور أخرى ٠ قال وهذه المدرسة من أحفل ما شاهدناه من المدارس بناء وغرابة صنعة ، وقال ان للبلدة سوى هذه المدرسة نحواً من اربع مدارس او خمس ٠

قال السابق ابو اليمن المعري

حلب معهد الصبا والتصابي ... فسقاها الوسمي ثم الوليُّ
موطني بعد موطني فكأني ... لغرامي بحبهـا البحتريُّ

الى ان قال في مدارسها

فلديهـا كل الفنون وفيها ... ما اشتهاه الشرعي والفلسفي
غير اني ارى الاطايب شزرا ... وحليف الافلاس عنها قصيُّ

وفي تقويم سنة ١٣٣٣ ان عدد مدارس الشهباء كان ثنتين وثلاثين مدرسة وما نظن العامر منهـا الآن بعض الشيء يتجاوز العشرين مدرسة خربت في اوقات مختلفة ولاسيما في فتنة تيمورلنك سنة ٨٠٣ ثم في القرون التالية بالفتن وتغير الدول

والحكام وتوالي الزلازل وغفلة القائمين على اوقافها وعسى ان يعود الى هذه الدور البديعة رونقها القديم بعناية ادارة الاوقاف التي تعنى الآن باحياء الآثار وتكثير مغل الوقف ، وان هذه المدارس بل كبرياتها اذا رممت وعولجت بالاصلاح ونفذت ارادة واقفيها يصبح مجموعها أعظم جامعة اسلامية كما هو الشأن في جامعتي اكسفورد وكمبردج في بلاد الانكليز من أعظم جامعات المذهب الانجيلي وكانت من قبل مدارس من مثل هذه مفرقة بنيت في عصور مختلفة فأصبحت الآن جامعات يفاخر بها وفيها يتخرج رجال الانكليز في العلوم المختلفة .

* * *

حلب اخت دمشق في جميع أدوار تاريخنا ، وهما متشابهتان من وجوه كثيرة في مرافقها ومدارسها وعمرانها ، والمدارس كانت في دمشق على حصة موفورة لانها كانت عاصمة الدولتين النورية والصلاحية ، وقد كانت في القرن السادس على رواية ابن جبير اكثر مدن الارض سكاناً وكانت في القرن الثامن كما قال ابن تغري بردي أجمل مدينة في العالم بل اغنى مدينة ، أحرق تيمورلنك بعض مدارسها وجوامعها وغرّمها عشرة ملايين دينار وحمل معه المهندسين والبنائين والنقاشين في جملة من حمل من ارباب الصنائع الى سمرقند كما فعل السلطان سليم العثماني في مصر لما فتحها في الربع الاول من القرن العاشر فحمل الى القسطنطينية كل صاحب صنعة وعمل نافع وجدها من بدائعها وصناعاتها النفيسة .

كان في دمشق في القرن التاسع مئة حمام وحمام والف مسجد وجامع في المدينة والضاحية وقد ذكر النعيمي في كتاب الدارس من المدارس انه كان فيها سنة ٩٢٧ هـ — ٣٢٠ مدرسة للشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ودار قرآن وحديث ورباط وخانقاه ومستشفى واربع مدارس للطب ومدرسة هندسة أنشأها نجم الدين اللبودي من اهل القرن السادس ولكل مدرسة خزانة كتبها ومدرسوها في الفنون المختلفة وكانت الطبيعيات والرياضيات والفلك والادب تدرس في حُجَرها من غير نكير . دام هذا الى القرن العاشر فأخذت بالانحطاط ولم يبق منها في اوائل هذا القرن سوى بضع مدارس تُلحقها

بالعامرات من باب التجوز صبرت كما قال عبداللطيف البغدادي في الاهرام على ممر الازمان بل على مرها صبرالزمان فانك اذا تبحرتها وجدت الاذهان الشريفة قداستهلكت فيها والعقول الصافية قد أفرغت عليها مجهودها ، والانفس المنيرة قد أفاضت عليها أشرف ما عندها لها ، والملكات الهندسية قد أخرجتها الى الفعل مثلاً هي غاية امكانها ، حتى انها تكاد تحدث عن قومها وتخبر بحالهم وتنطق عن علومهم واذهانهم وتترجم عن سيرهم واخبارهم ·

صبرت هذه المدارس على نوائب الدهر لانها كالقلاع بضخامة بنيانها صرفت عليها الاموال الطائلة اكثر مما نتصور بكثير ·

لا جرم ان بلاد الشام كانت عامرة في القرنين السادس والسابع اكثر من كل قرن على ما كان ناشباً من الحرب الطاحنة بين سكان البلاد والصليبيين · وكثير من آثار العمران ظهرت اذ ذاك على غير مثال ، ولا غرو بعد هذا ان قال في دمشق ابو الفضل ابن منقذ الكناني يوم كان لها القدح المعلى في العمائر :

واذا مررت على المنازل معرضاً عنها قضى لك حسنها ان تقبلا
ان كنت لا تسطيع ان تتمثل الفـ ردوس فانظرها تكن متمثلا
واذا عنان اللحظ اطلقه الفتى لم يلق الا جنة او جدولا
او روضة او غيضة او قبة او بركة او ربوة او هيكلا
او وادياً او نادياً او ملعباً او مذنباً او مجدلا او موئلا
او شارعاً يزهو بربع قد غدا فيه الرخام مجزعاً ومفصلا

ولقد وصف شيخ الربوة من القرن الثامن حلب فقال انها كانت على عهد العباسيين تضاهي بعظمتها بغداد والموصل وانه استولى عليها الخراب بايدي التتار وان اهلها يتنافسون في الملابس والهيئات والمراكب والمنازل وقال غيره ان حلب بلد تليق بالخلافة ·

ولقد برع مهندسو العرب في هذه الديار في علم عقود الابنية وهي ما يتعرف منه احوال اوضاع الابنية وكيفية شق الانهار وتنقية القني وسد البثوق وتنضيد المساكن ولو لم يبرعوا في كيفية ايجاد الآلات الثقيلة لنقل الثقل العظيم بالقوة اليسيرة لما تمكنوا

من عمارة المدن والقلاع والمنازل والجوامع والمدارس هـذا التمكن الذي تبهرنا بقاياه الضئيلة ولو كان مؤلفو التراجم يعنون باخبار المهندسين والفلكيين والرياضيين مثـلاً عنايتهم بالتقاط اخبـار الشعراء والمتأدبين والمتزهدين لجاءتنـا منهم سلسلة طويلة ولعلمنا من اساليب تفننهم وعلومهم الشيء الكثير . ولم نطلع من هذا القبيل على اكثر من عشرة مهندسين مسلمين في قرون العمران في حلب ودمشق وضاعت تراجم الاكثر ومنهم من ظفرنا باسمائهم مزبورة على بعض المدارس في هذه الحاضرة وغيرها من مدن الشام .

ان الارتقاء الذي بلغه المهندسون في الاسلام عندنا يدهش كل مفكر وقديماً كان السوريون على عهد الفراعنة والحثيين يعتقدون ان بعض مدن ساحل الشام بناءا الارباب والآلهة ثم اصبحوا يعتقدون اذا رأوا بناءً عجيباً جهلوا بانيه انه من بناء سليمان او اضافوه الى الجن وقد قال البحتري في ايوان كسرى :

ليس يدرى اصنع انس لجن　　سكنوه ام صنع جن لانس

وقال شيخنا ابو العلاء المعري :

وقد كان ارباب الفصاحة كلما　　رأوا حسناً عدوه من صنعة الجن

اما نحن فنضيف كل بناء الى صانعه وهو مثلنا وبطولنا وحجمنا وعقلنا لكنه رزق حظاً من العلم وشدا شيئاً من ادب النفس وانفق صـاحبه على بنائه عن سعة فجاء مثال الحسن والابداع .

من تأمل مدارس ارباب الخير من المسلمين في الشهباء والفيحاء وقرأ ما كتب عليها بتأمل وزارها المرة بعد المرة على تغير في معالمها ، وتشويه طرأ على محاسنها ، وفساد عرا اذواق الابناء والاحفاد اذا قيس الى مجد الاجداد ، وجعل نسبة بين عدد ما عمر منها وما بقي في البلدتين الشقيقتين ، يؤكد معنا ان الفساد استحوذ عليها في دمشق اكثر من حلب وان من تجردوا من الوجدان ناستحلوا استصفاء تلك المدارس كانوا في الفيحاء اكثر من امثالهم في الشهباء ، ولذلك كان عدد البـاقي هنا اكثر واجود من حيث الكمية والكيفية من المدارس هناك .

ولا ينكر ان مادة البناء قد تختلف في بلد عن آخر وقد كان الاعتماد في تلك القرون على الحجر الصلد ، وفي دمشق عدة مقالع جميلة منوعة منه كما في حلب ، ولم يكثر الآجر والطوب والخشب الا في القرون الحديثة ولذلك لم تخرب المدارس الدمشقية لعدم متانة في بنائها فان الامثلة الظاهرة منها الى اليوم لا تجعلها تختلف في شيء عن مدارس حلب ، ولكن القائمين على هذه المدارس في هذه المدينة كانوا يعتدلون في العبث بها ومتانة الاخلاق من جملة ما امتاز به الحلبيون لجودة هوائهم يضاف اليها حب الاحتفاظ بتراث الاجداد على صورة كانت ظاهرة في قرون الارتقاء ، كامنة في عصور الشقاء والرجوع الى الوراء .

والناظر الى مدارس دمشق وحلب وهي لا تقل عن اربعمائة مدرسة منهـا زهاء ثلاثمائة في دمشق يدرك انها من عمل السلاطين والعمال وقليل من التجار واهل الخير ، وكان منهم من يتوخى منها ان تكون توليتها لبنيه من بعده ليعيشوا منها اذا صودرت املاكهم . بنى قليل من التجار المدارس لان الشعب كان يفنى في اغلب العصور في كبرائه ، فلم يكن شأن في مظاهر النعمة والغبطة مدة قرون لغير ارباب الدولة او من كان يعد في جملتهم ، وكان سائر الناس يحاذرون ان تنشأ لهم شهرة في الثروة ، والثروة تتجلى في الدار والفرش والدابة واللباس وبذل المال لاقامة دور العلم وايواء اليتامى والمحاويج فكانوا يتظاهرون بالفقر لينجوا من مخالب العمال ولا سيما في عهد المماليك فمن بعدهم . وكانت مصادرة اموال الناس أسهل شيء على الحكومات وقتل من يريدون استصفاء ارضهم وعقارهم وعروضهم من المباحات في نظرهم . ولذلك كان ذو الغنى كثيراً ما يدفن امواله في مكان مجهول من داره ودكانه . وربما خاف من زوجه وولده فكتم عنهم مايملك ، وقد يموت وتبقى دفينته مجهولة حتى يجيء بعد دهر طويل من ينبش الارض او الجدار ويعثر بالعرض على ما جمعه ذاك الغني المحروم .

وقلّ ان رأينا جماعة اتفقوا على إقامة عمل من هذا القبيل يفتخر به اللهم الا قليل من المساجد ، ولو فعلوا لامنت اعمال الجماعات من اعتداء المعتدين اكثر من عمل الافراد ، ولما استصفيت واستحل هدمها او تغيير خططها ومعالمها من لا يخافون الله ولا عباده ، ولجاءت ممثلة للعظمة الحقيقية في الامة ، على نحو ماقامت البيع والاديار والمدارس في القرون

الوسطى بالغرب ، بارشاد رجال الدين من كرادلة واساقفة وقساوسة ، فكانوا يجمعون قليلاً من صدقات الملوك والاغنياء والفرسان والشعب ، فيجيء مجموعها عظيماً يدار بايدي هيئة منظمة على كل حال ، ويخطون خطة لا يخرج عنها الخلف الا قليلاً . وقد بدأ المسلمون في هذا القطر بانشاء مدارسهم في القرن السادس وانتهوا في القرن التاسع فجاء بعدهم من ينسفها واحدة تلو الاخرى فتداعت واكلوا اوقافها فأخرجوها عن الغاية الشريفة التي وضعت لها .

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

نعم عمروها في ثلاثة قرون فعجز المخربون عن تخريبها في اربعة ، ولو لم تكن اكثرها من مال محال مشروع قصد بها وجه الله وجلب الخير المحض للامة ، ولو لم تكن بلغت الغاية في إحكام الهندسة ومتانة العمارة ، ولو لم يزبروا على الحجر في الاكثر ما وقفوه عليها من الاوقاف الكثيرة ويدونوه في سجلات مخلدة يتعذر تبديلها ، لما طال عمرها كل هذه المدة وقد تعاورت عليها المصائب السماوية والارضية والمصائب الارضية أدهى وأمر .

فإذا كان هذا حظ المدارس والجوامع فما بالك بغيرها من المصانع . وكم ادركنا وادرك آباؤنا واجدادنا في هذه الديار من أثر بديع سطت عليه يد خرقاء لنسل حجارته . وكم من كتابة تاريخية عفي اثرها وقطعت ووضعت في اساس الميضآت جهلاً وغباوة او عن قصد وعمد . ولطالما ذكرنا والمعاول تهدم في العمائر المدهشة في قطرنا المحبوب ما قاله القاضي ابو يعلى المعري وقد اجتاز ببلدة شياث ظاهر معرة النعمان والناس ينقضون بنيانها ليعمروا بها موضعاً آخر فقال :

مررت برسم في شياث فراعني ... به زجل الاحجار تحت المعاول
تناولها عبل الذراع كأنما ... رمى الدهر فيما بينهم حرب وائل
أتتلفها شلت يمينك خلها ... لمعتبر او زائر او مسائل
منازل قوم حدثتنا حديثهم ... ولم ار احلى من حديث المنازل

للاثر القديم من الوقع في النفس ما ليس للاثر الحديث ، فإن الاول يذكر بامور

كثيرة . يذكر بمجد السلف واياديهم البيضاء وارادتهم الصحيحة ، يذكرنا بان فلاناً الذي تحترمه الامة بنى ذاك المصنع وتلك الدار ، وان فلاناً العالم درس هنـاك او كان يألف المكان الفلاني . وكم من أثر تاريخي او مصنع من مصانعنا نمر به دون ان نحفل بما فيه من عبر ولو كنا على شيء من مدنية أجدادنا ما زهدنا هذا الزهد البشع في تراثهم ، ولو اقتبسنا المدنية الحديثة بمحاسنها ومساويها لرأيتنا أسرع الى التقـاط آثار الجدود والاحتفاظ بها من الماء الى الحدور . لا تستطيع امة ان تقطع الصلة بينها وبين ماضيها خصوصاً اذا كانت ذات غابر عظيم كغابر الامة العربية قام على أساس متين ، وتقاليد جميلة ، ومقدسات متسلسلة ، اما ونحن لا نرقى بدون القديم والاخذ من نافع الحديث ، فواجب العقلاء ان يفكروا في أقرب الطرق الى بلوغ هذه الغاية وهذا لا يتم بغير احياء دور العلم ومعاهد الفضل ، واحياؤها موقوف على قليل من العناية .

ليس للمدرسة الحديثة التي ننشئها اليوم تلك النضارة ، ولا تتجلى فيها معاني الحسن والاحسان التي نشعر بها ونكاد نلمسها في المعاهد القديمة ، مثل مدرسة ضيفة خاتون رحمها الله فانك اذا رأيتها تمثلت أمامك صفحة من صفحات تاريخ هذه الامة المجيد . تمثلت بيت بني أيوب وأفضالهم على ربوع الشام ، وكفى بهم وبصلاح الدين من حسنة عقم الدهر ان يلد مثلها . كثير من المصانع بناها الملوك بالسخرة وارهاق الرعية ، وإعنات الاسرى والمعتقلين ، ولم نقرأ في تاريخ ان احداً من آل البيت الصلاحي عمّر مدرسة او جامعاً او مستشفى او رباطاً من مال مشبوه ، اوسخرة ممقوتة ، فأكرم وانعم بكل فرد أصيلاً كان في هذا البيت الشريف او دخيلاً عليه .

أيها السادة : ان بلاد الشام من عريشها الى فراتها ومن جبال طوروس اوالدروب الى البادية مملوءة بآثار مختلفـة وعاديات مدهشة بقيت من عهد الحثيين والكنعانيين والسريان والرومان واليونان والعرب والفرس وغيرهم من الامم العظيمة ، منها ما هو تحت الارض ومنها ما هو فوق الارض ، اذا حافظ كل واحد منا على ما تطول اليه يده ، وعُنيت الحكومة بالاشراف عليها إشرافاً حقيقياً ، كما فعلت مصر وتونس مثلاً ، يستفيد القطر الشامي بعد مدة زيادة على استفادته المعنوية من هذه العاديات استفادة مادية . تصبح بلادنا بلا شك متحفاً كبيراً يؤمه السياح لرؤية آثارها ومصانعها . وليست آثارنا عبارة

عن المشهور منها فقط أي البتراء او وادي موسى وجرش وبعلبك وتدمر وغيرها . ان آثارنا مبعثرة في كل مدينة ، ماثلة في كل قرية ، اذا أحسنا تعهدها وأصلحنا ماتداعى منها ، استفدنا منها فاستخدمناها فيما أنشئت له وضممنا بها شملنا ، وحافظنا بها على مقدساتنا ، وكانت مجلبة الغريب الى ديارنا للربح . قال سوبرنهيم : ان عدداً عظيماً من مصانع حلب يرد الى زمن المماليك والعثمانيين وماعدا الجوامع الكثيرة مثل جامع الاطروش والطونبغا والطواشي ومناراتها المختلفة الهندسة — وبفضلها تذكر حلب بصورة القاهرة في هذا المعنى — فان حلب قد احتفظت بالمستشفى الجميل الذي بناه ارغون سنة ٧٥٥ وبكثير من المخازن والخانات والحمامات والدور والسلسبيلات وفي هذا المستشفى افاريز ونقوش من أجمل مانقش النقاشون تزينه فتجعله بهجة للناظرين ، ومدينة حلب غنية بمصانعها الجيدة الهندسة ومنها العسكري والديني والمدني وكلها مما زبر عليها من الكتابات مادة واسعة لمن يريد ان يتصور اصول الهندسة لا في حلب فقط بل في شمالي سورية . وذكر الاثريون ان منارة جامع حلب من أفضل آثار الهندسة الاسلامية .

عمر أهل الخيرات من سلف هذه الامة هذا القدر العظيم الذي نعجب به من معاهد التعليم الديني دع المساجد والجوامع ، ولو كتب البقاء لبعضها لاغنت القوم بمعارفها ونشرت النور بينهم . وكانت المدارس والجوامع في تلك القرون المظلمة في الغرب وهي مستنيرة في هذا الشرق والمتكفلة بتعليم الناس واخراجهم من الامية ، وكان لمعظم المدارس والجوامع كتاتيب مرتبطة بها وخارجة عنها لتعليم الاطفال تؤهلهم لتلقي دروس المدارس والجوامع ، ولا نغالي اذا قلنا ان عدد الأميين كان في تلك العصور أقل مما هو الآن في هذه الديار ، ولو اطرد العمل اطراده في مدارس الغرب مثلاً لاصبحنا في هذا القرن والأميون أقل مما هم في بلاد المدنية الحديثة .

ولكن الجهل قضى على تلك المدارس واكل المتولون أوقافها فخربت وتغيرت معالمها . وكم من وقف اليوم يستمتع به النظار عليه ويصرفون ما وقف على الخير على شهواتهم بدون محاسب من ذممهم ولا رقيب من أصحاب السلطان ، لو كتب لهم ان يأكلوا منها بالمعروف ويصرفوا حقوق تلك المعاهد او بعض مغلها على رمها واجراء الرزق على ساكنيها والدارسين فيها لأتت بثمرات جنية ، ولما اكلوا في بطونهم النار

وركبوا متن العار والشنار . وكم من بيت كان موسوماً في القديم بالعلم والتقى خلف من بعد السلف خلف عبثوا بالحرمات : استحلوا أموال المدارس والمعابد ، فدثر البيت وانقرضت الأسرة،وذهبوا وما يملكون جملة ، لم يُرحموا لانهم لم يَرحموا . ضبطت الحكومة السابقة اكثر اوقاف الملوك والسلاطين وكان ريعها كثيراً جداً في هذه البلاد فلم تصرفها فيما خصصت له ، ولم تُنجح في الغاية التي توختها منها، واستقل بعض ارباب النفوذ بالاوقاف التي اؤتمنوا عليها او انتهت اليهم بحكم الوراثة فأساؤا الاستعمال الا من عصم الله . فالسبب اذاً في خراب مدارسنا الجميلة سوء ادارة الحكومات السالفة وعبث المتولين عليها ، واخراجها عما وضعت له من عمل الخير بصنع اولئك الذين يعدون انفسهم في جملة حماة هذا المجتمع وهم اعدى عداته .



أخبار الحمقى والمغفلين

لابي الفرج بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ ﻫ زهاء مئة مصنف في القرآن والفقه والحديث والطب والتاريخ والسير والتراجم والجغرافية والوعظ والتصوف واللغـة . ومن جملة تآليفه كتاب الاذكياء المطبوع وكتاب أخبار الحمقى والمغفلين المخطوط . ومن هذا السفر الاخير فيما نعلم ثلاث نسخ مخطوطة الاولى في خزانة كتب المدينة المنورة والثانية في باريز والثالثة في برلين وهذه النسخة الرابعة دخلت المجمع العلمي في جملة ما أهدي اليه من المخطوطات . ونسختنا هذه من قطع الربع وقعت في ١٠٤ ورقات جميلة الخط يغلب التحريف عليها ولم يعلم زمن نسخها والغالب انه كان في القرن الحادي عشر بدليل انه كتب على طرتها (صار في حيز المفتقر لفضل فيض ربه .. عمر بن عبد الرحمن القاري في سنة ١١٢٧) وهي كاملة من الاول والآخر الا ان الكاتب سها في الورقة الخامسة والخمسين فلم يكمل الكلام في صفحة القفا وانتقل الى الورقة السادسة والخمسين ثم انتبه وكتب بخطه في الصفحة التي تركها بيضاء (البياض سهو) .

بدأ المؤلف كتابه بقوله بعد البسملة : « قال الشيخ الامام جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي محمد بن علي الجوزي الحمد لله الذي أعطى الانام جزيلا ، وقبل من الشكر قليلا ، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا ، وصلى الله على سيدنا محمد الذي لم يجعل له من جنسه عديلا ، وعلى آله وصحبه بكرة وأصيلا . وبعد فاني لما شرعت في جمع أخبار الاذكياء وذكرت بعض المنقول عنهم ليكون مثالاً يحتذى ، لان أخبار الشجعـان تعلم الشجاعة ، آثرت ان أجمع أخبار الحمقى والمغفلين لثلاثة اشياء ، الاول ان العـاقل اذا سمع أخبارهم عرف قدر ما وهب له مما حرموه فحثه ذلك على الشكر .... الى ان قال . والثاني ان ذكر المغفلين يحثّ المستيقظ على اتقاء أسباب الغفلة ، اذا كان داخلاً تحت الكسب ، وعامله فيه بالرياضة ، واما اذا كانت الغفلة مجبولة في الطباع فانها لا تكاد تقبل التغيير . والثالث ان يروح الانسان قلبه بالنظر في سير هؤلاء المبخوسين حظوظهم يوم القسمة ، فان النفس قد تملّ من الدؤب في

الجد ، وترتاح الى بعض المباح من اللهو ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحنظلة ساعة وساعة ...»

وأخذ في الفصل الاول بنقل عبارات لبعض الحكماء والصحابة في جواز الاحماض ، نقلها على عادة المحدثين بالرواية المتسلسلة مما قد يورث الكلام بذلك شيئاً من التطويل منها قول الخليفة الرابع ان هذه القلوب تملّ كما تمل الأبدان فالتمسوا لها من الحكمة طرفا . وقال أسامة بن زيد : روّحوا القلوب تعي الذكر . وقال الحسن : ان هذه القلوب تحيي وتموت فاذا حييت فاحملوها على النافلة ، واذا ماتت فاحملوها على الفريضة . وقال ابو الدرداء : اني لاستجم نفسي ببعض الباطل كراهية ان احمل عليها من الحق ما يملّها . وكان ابن عباس اذا جلس مع أصحابه حدثهم ساعة ثم قال : حمضونا فيأخذ في أحاديث العرب ثم يعود يفعل ذلك مراراً . وكان رجل يقول لاصحابه : هاتوا من أشعاركم هاتوا من حديثكم ، فان الاذن مجة والقلب حمض . وكان الزهري يحدث ثم يقول : هاتوا من طرفكم هاتوا من أشعاركم أفيضوا في بعض مايخف عليكم ، وتأنس به طباعكم ، فان الاذن مجاجة والقلب ذو تقلب .

قال المؤلف : وما زال العلماء والافاضل يعجبهم الملح ويهشون لها : لانها تجمّ النفس ، وتريح القلب من كد الفكر ، وقد كان شعبة يحدث فاذا رأى المريد النحوي قال انه ابو زيد :

استعجمت دار نعم ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات اخبار

وقد روينا عن ابن عائشة احاديث ملاحاً في بعضها رَفث ، وان رجلاً قال له : يأتي من مثلك هذا فقال له : ويحك اما ترى أسانيدها ما احد ممن رويت عنه الا هو افضل من جميع اهل زماننا ، ولكنكم ممن قبح باطنه فرأى ظاهره ، وان باطن القوم فوق ظاهرهم . ووصف رجل من النساك عند عبد الله بن عائشة فقالوا : هو جدّ كله فقال : لقد أضاق على نفسه المرعى ، وقصر لها طول النهى ، ولو فكهها من الانتقال من حال الى حال لنفس عنها ضيق العقدة ، وراجع الجد بنشاط وجده . وروى قول الرشيد : النوادر تشحذ الاذهان ، وتفتق الآذان .

ثم قال : فقد بان ممن ذكرنا ان نفوس العلماء تسرح في منهاج اللهو الذي يكسبها نشاطاً للجد ، فكأنها من الجد لم تزل قال ابو فراس :

أروّح القلب ببعض الهزل   تجاهلاً مني بغير جهل
امزح فيه مزح اهل الفضل   والمزح أحياناً جلاء العقل

وقد قسم كتابه اربعة وعشرين باباً وهذه تراجمها : الباب الاول في ذكر الحماقة ومعناها . الباب الثاني في بيان ان الحمق غريزة . الباب الثالث في ذكر اختلاف الناس في الحمق . الباب الرابع في ذكر اسماء الاحمق . الباب الخامس في ذكر صفات الاحمق . الباب السادس في التحذير من صحبة الاحمق . الباب السابع في ضرب العرب المثل بمن عرف حمقه . الباب الثامن في ذكر اخبار من ضرب المثل بحمقه وتغفيله . الباب التاسع في ذكر جماعة من العقلاء صدر عنهم فعل الحمقى . الباب العاشر في ذكر المغفلين من القراء . الباب الحادي عشر في المغفلين من رواة الحديث وتصحيفه . الباب الثاني عشر في ذكر المغفلين من القضاة . الباب الثالث عشر في ذكر المغفلين من الامراء والولاة . الباب الرابع عشر في ذكر المغفلين من الكتاب والحجاب . الباب الخامس عشر في المغفلين من المؤذنين . الباب السادس عشر في المغفلين من الائمة . الباب السابع عشر في المغفلين من الأعراب . الباب الثامن عشر في من قصد الفصاحة والاعراب من المغفلين . الباب التاسع عشر في من قال شعراً من المغفلين . الباب العشرون في المغفلين من القصاص . الباب الحادي والعشرون في المغفلين المتزهدين . الباب الثاني والعشرون في ذكر المغفلين من المعلمين . الباب الثالث والعشرون في المغفلين من الحاكة . الباب الرابع والعشرون في المغفلين على الاطلاق .

وقد أورد في اكثر الابواب ملحاً ونوادر تتعلق بالباب وتناسبه تروّح الروح ، وتضحك العبوس ، وكلهم مجمعون على ان داء الحماقة متعذر علاجه وانه غريزة . قال ابو يوسف القاضي : ثلاث صدّق باثنتين ولا تصدق بواحدة ان قيل لك ان رجلاً كان معك فتوارى خلف حائط فمات فصدق ، وان قيل لك ان رجلاً فقيراً خرج الى بلد فاستفاد مالاً فصدق ، وان قيل لك ان أحمق خرج الى بلد فاستفاد عقلاً

فلا تصدق . قال الاوزاعي : بلغني انه قيل لعيسى بن مريم عليه السلام يا روح الله انك تحيي الموتى قال : نعم باذن الله قيل وتبرئ الاكمه قال : نعم باذن الله قيل فما دواء الحمق قال : هذا الذي أعياني . وقال جعفر بن محمد : الادب عند الاحمق كالماء في اصول الحنظل كلما ازداد ريّاً زاد مرارة .

ومما رواه في صفات الاحمق ما قاله بعض الحكماء : الحمق مماد اللحية فمن طالت لحيته كثر حمقه . ورأى بعض الناس رجلاً لحيتـه طويلة فقال : والله لو خرجت هذه من نهر لبيس . وقال الاحنف بن قيس : اذا رأيت الرجل عظيم الهامة طويل اللحية فاحكموا عليه بالرقاعة ولو كان أمية بن عبد شمس . وقال معـاوية لرجل عتب عليه : كفانا في الشهادة عليك في حماقتك ، وسخافة عقلك ، ما نراه من طول لحيتك . وقال عبد الملك بن مروان : من طالت لحيته فهو كوسج في عقله ، وقال غيره : من قصرت قامته ، وصغرت هامته ، وطالت لحيته ، لحقيقاً على المسلمين ان يعزوه في عقله . وقال زياد بن ابيه : ما زادت لحية رجل على قبضة الا كان ما زاد فيها نقصاً من عقله . قال بعض الشعراء :

اذا عرضت للفتى لحيتـه ... وطالت فصارت الى سرته
فنقصان عقل الفتى عندنا ... بمقدار ما زاد في لحيته

وانشدوا : اتق الاحمق ان تصحبه ... انما الاحمق كالثوب الخَلَق
كلما رقعت منـه جانبـاً ... خرقته الريح وهنا فانخرق
او كصدع في زجاج فاحشٍ ... هل ترى صدع زجاج يرتتق
كحمار السوء ان أقضمته ... رمح النـاس وان جاع نهق
او غلام السوء ان أشبعتـه ... سرق الناس وان يشبع فسق
واذا عاتبتـه كي يزعوي ... أفسد المجلس منه بالخرق

وذكر المؤلف اسماء كثير من الحمقى والمغفلين ، ومما قاله : ان جحى (الذي يقول بعضهم انه « نصري خوجه » دفين آقشهر في الاناضول وليس به بالنظر لبعد عصرهما) وجحى كان عربياً في بلاد العرب قال : ان جحى يكنى ابو الغصن وقد روي عنه ما يدل على فطنةٍ وذكاء ، الا ان الغالب عليه التغفل ، وقد قيل ان بعض

من كان يعادية وضع له حكايات · والله أعلم · قال سمعت بكر بن محمد الصوفي يقول : سمعت عبد الصمد بن الفضل البلخي يقول: سمعت مكي بن ابراهيم يقول: رأيت جحى رجلاً كيساً ظريفاً ، وهذا الذي يقال عنه مكذوب عليه ، وكان له جيران مخنثون يمازحهم ويمازحونه فوضعوا عليه · أخبرنا صهيب بن عباد قال حدثنا ابو بكر الكلبي قال : خرجت من البصرة فلما قدمت الكوفة اذا انا بشيخ جالس في الشمس فقلت : يا شيخ منزل الحكم فقال لي وراك ، فرجعت الى خلفي فقال يا سبحان الله اقول لك وراك وترجع الى خلفك ·

وذكر له بعض قصص منها ما هو شائع في نوادر جحى على ما نذكر وقال : وجمهور ما يروي عن جحى تغفيل نذكره كما سمعناه ، ومما رواه له ان المهدي أحضر جحى ليمزح معه فدعا بالنطع والسيف فلما أُقعد في النطع قال للسياف : انظر لا تصب محاجمي فاني قد احتجمت · وقال له رجل : أتحسن الحساب باصابعك قال نعم : قال خذ جريبين حنطة فعقد الخنصر والبنصر فقال له : خذ جريبين شعير فعقد السبابة والابهام وأقام الوسطى فقال الرجل : لم أقمت الوسطى قال: لئلا يختلط الحنطة بالشعير·

ومنهم « مزيد » قيل له ان فلاناً الحفار قد مات فقال ابعده الله من حفر حفرة سوء وقع فيها · وقال مزيد لرجل : أيسرك ان تعطى الف درهم وتسقط من فوق البيت قال : لا ، قال : مزيد وددت انها لي وأسقط من فوق الثريا · فقال له الرجل : ويلك فاذا سقطت مت ، قال : وما يدريك لعلي سقطت في التبانين او على فرش زبيدة ·

ومنهم « أزهر الحمار » قدم على الامير عمرو رسول من عند السلطان فأحضر مائدته فقال لازهر جملنا بسكوتك اليوم فسكت طويلاً ثم لم يصبر فقال : بنيت في القرية برجاً ارتفاعه الف خطوة فأومأ اليه حاجبه ان اسكت ، فقال له الرسول : في عرض كم قال : في عرض خطوة · فقال له الرسول : ما كان ارتفاعه الف خطوة لايكفي عرضه خطوة · قال : أردت ان أزيد فيه فمنعني هذا الواقف · وقدم رسول آخر فقيل لازهر : لا تتكلم اليوم فسكت ساعة فعطس الرسول فأراد ازهر ان يشمّته فيقول : يرحمك الله فقال صبحك الله فقال الامير : أليس قد تقدمت اليك ان

لا تتكلم فقال : اردت ان لا يرجع الرسول الى بغداد فيقول : ان هؤلاء لا يعرفون العربية ٠

ومنهم « ابومحمد جامع الصيدلاني » مضى الى السوق ليشتري لابنه نعلاً فقيل له : كم سنه ٠ فقال : لا أدري ولكنه ولد اول ما جاء العنب الداراني ٠ ومحمد ابني استودعه الله اكبر منه بشهرين ونصف سنة ٠ وكانت له ابنة فقيل له : كم سنها فقال : ما أدري الا انها ولدت ايام البراغيث ٠

ومنهم « ابو عبد بن الحصاص » دخل يوماً على ابن الفرات الوزير الخاقاني وفي يده بطيخة كافور فأراد ان يعطيها الوزير ويبصق في دجلة فبصق في وجه الوزير ورمى بالبطيخة في دجلة فارتاع الوزير وانزعج ابن الحصاص وتحير وقال : والله العظيم لقد أخطأت وغلطت أردت ان ابصق في وجهك وارمي بالبطيخة في دجلة فقال له الوزير : كذلك فعلت يا جاهل ٠ فغلط في الاعتذار وأخطأ في الفعل ٠ ونظر في المرآة فقال : اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وسودها يوم تسود وجوه ٠ وكسر يوماً لوزاً فطارت لوزة فقال : لا اله الا الله كل شيء يهرب من الموت حتى البهائم ٠ وكان ابن الحصاص يسبح كل يوم فيقول : نعوذ بالله من نعمه ونتوب اليه من احسانه ونستقيله من عافيته ونسأله عوائق الامور حسبي الله وأنبياؤه والملائكة الكرام اللهم أدخلنا من دعائه في بركة القصور على قبورهم والبيع والثغور والكنائس سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله ٠ وذكر محمد بن احمد الترمذي قال : كنت عند الزجاج اعزيه بامه وعنده الخلق من الرؤساء والكتاب اذ أقبل ابن الحصاص فدخل ضاحكاً وهو يقول : الحمد لله قد سرني والله يا ابا اسحق ، فدهش الزجاج ومن حضر ، وقيل له : يا هذا كيف سرّك ما غمه وغمنا فقال : ويحك بلغني انه هو الذي مات فلما صح عندي انها هي التي ماتت سرني فضحك الناس جميعاً ٠ وكتب ابن الحصاص الى وكيل له يحمل اليه مائة مناً قطناً فلما حلجها خرج منها ربع الوزن فكتب الى الوكيل لم يحصل من هذا القطن الا خمسة وعشرون مناً فلا تزرع بعد هذا الا قطناً محلوجاً وشيئاً من الصوف ايضاً ٠

ولكن ابن الحصاص كان يتعمد البلاهة وليست به ، وكان من كبار الاغنياء

وار باب النعمة ، حدث المؤلف عن محمد بن عبد الباقي عن علي بن ابي علي التنوخي عن ابيه قال : اجتمعت ببغداد سنة ست وخمسين وثلاثمائة مع ابي علي بن ابي عبدالله ابن الحصاص فرأيته شيئاً حسناً طيب المحاضرة فسألته عن الحكايات التي تنسب الى ابيه مثل قوله خلف الامام حين قرأ ولا الضالين فقال : إي لعمري بدلاً عن آمين ومثل قوله : اراد ان يقبل رأس الوزير فقال : أفيه دهن فقال : لو كان في رأس الوزير خ · لقبلته ومثل قوله : وقد وصف مصحفاً بالعتق فقال : كسروي فقال : اما لعمري ، ونحو هذا فكذب ، وما كان فيه سلامة يخرجه الى هذا ، وما كان الا من ادهى الناس ، ولكنه مطلق يحضره الوزراء قريباً ؟ ومما يحكى عنه السلامة طبع كان فيه ولانه كان يحب تصوير نفسه عندهم بصورة الأبله ليأمنه الوزراء لكثرة خلواته بالخلفاء ، فيسلم عليهم وانا أحدثك عنه حديثاً حدثنا به تعلم معه انه كان في غاية العزم فانه حدثني قال : ان اباالحسن بن الفرات لما ولي قصدني قصداً قبيحاً فأنفذ العمال الى ضياعي وامر بقبض معاملاتي وبسط لسانه بثلبي وتنقصني في مجلسه فدخلت عليه يوماً داره فسمعت حاجبه يقول : وقد ولّيت : اي بيت مال يمشي على وجه الارض ليس من يأخذه فقلت : ان هذا من كلام صاحبه واني مسلوب ، وكان عندي في ذلك الوقت سبعة آلاف الف دينار وجوهر ، سوى ما يحتوي عليه ملكي · فسهرت ليلتي أفكر في امري معه ، فوقع لي الرأي في الثلث الاخير فركبت الى داره في الحال فوجدت الابواب مغلقة فطرقتها فقال : البوابون من هذا فقلت : أبن الحصاص فقالوا : ليس هذا وقت وصول والوزير نائم فقلت : عرفوا الحجاب اني حضرت في مهم فعرفوهم فخرج اليّ احدهم فقال : انه الى الساعة ينتبه فيجلس فقلت : الامر اهمُّ من ذلك فأنبهه وعرفه عني هذا ، فدخل وأبطأ ساعة ثم خرج وادخلني الى دار حتى انتهيت الى مرقده وهو جالس على سرير له وحواليه نحو خمسين فراشاً وغلمان كأنهم حفظة وهو مرتاع ، قد ظن ان حادثة حدثت واني جئته برسالة الخليفة وهو متوقع لما اورده فرفعني وقال : ما الذي جاء بك في هذا الوقت ، هل حدثت حادثة او معك من الخليفة رسالة قلت : خير ما حدثت حادثة ولا معي رسالة ولا جئت الا في امر يخصني ويخص الوزير ولم تصلح مفاوضته فيه الا على خلوة فسكن

وقال : لمن حوله انصرفوا فمضوا وقال : هات قلت : ايها الوزير انك قصدتني اقبح قصد ، وشرعت في هلاكي ، وازالة نعمتي ، وخروج نفسي ، وليس عن النفس عوض ، ولعمري اني اسأت في خدمتك وقد كان في هذا التقويم بلاغ وجلّ عندي وقد اجتهدت في اصلاحك بكل ما اقدر عليه وابيت الا الاقامة عليّ ، اذاً وليس شيءٌ اضعف في الدنيا من السنور ، واذا عوينت في دكان البقال وظفر صاحبها بها ولزّها الى زاوية ليخنقها ، وثبت عليه فخدشت وجهه وبدنه ، ومزقت ثيابه ، وطلبت الحياة بكل ما يمكنها ، وقد وجدت نفسي معك في هذه الصورة ، ولست اضعف من السنور بطشاً ، وقد جعلت هذا الكلام عذراً بيناً فان نزلت تحت حكمي في الصلح والا عليّ وعليّ . وحلفت ايماناً مغلظة لاقصدن الخليفة الساعة ولاحولن اليه من جوانبي الفي الف دينار عيناً وورقاً ولا اصبح الا وهي عنده وانت تعلم قدرتي عليها واقول : خذ هذا المال وسلم ابن الفرات الى فلان واستوزره واذكر له اقرب من يقع في نفسي انه يجيب الى تقليده ممن له وجه مقبول ، ولسان عذب ، وحظ حسن ، ولا اعتمد الا على بعض كتابك فانه لا يفرق بينك وبينهم اذا رأى المال حاضراً ، فيسلمك في الحال ويراني المتقلد بعين من اخذه وهو صغير ، فجعله وزير وغرّم عليه لهذا المال الكثير فيخدمني ويتدبر برأيي وأُسلمك اليه ويفرغ عليك العذاب حتى يأخذ الالفي الف دينار منك باسرها ، وانت تعلم ان حالك تفي بهذا ، ولكنك تفتقر بعدها ويرجع المال اليّ ، ولا يذهب مني شيء واكون قد اهلكت عدوي ، وشفيت غيظي ، واسترجعت مالي ، وصفت نعمتي ، وزاد محلي ، بصيري وزيراً ، وبتقليدي وزيراً . فلما سمع هذا الكلام سقط في يده وقال : يا عدو الله اوتستحل هذا قلت : لست عدو الله بل عدو الله من استحل مني هذا الذي أُخرجني الى الفكر في مثل هذا ، ولم لا استحل مكروه من اراد هلاكي ، وزوال نعمتي ، فقال : او ايش ، فقلت : وتحلف الساعة بما استحلفك به من الايمان المغلظة انك تكون لي لا عليّ في صغير امري وكبيره ولا تنقص لي رسماً ولا تغير لي معاملة ، ولا تدسس عليّ الكاره ، ولا تشر لي في سوء ابداً ظاهراً ولا باطناً فقال : وتحلف انت ايضاً لي بمثل هذا اليمين ، على جميل النية ، وحسن الطاعة والمؤازرة ، فقلت : افعل فقال : لعنك الله ما انت الا ابليس

والله لقد سحرتني واستدعى دواة وعملنا نسخة يمين فأحلفته اولاً بها ثم حلفت له ، فلما اردت القيام قال : يا ابا عبد الله لقد عظمت في نفسي ، وخففت ثقلاً عني ، والله ما كان المقتدر يفرق بين كفايتي ، وبين أخس كتابي ، مع المال الحاضر ، فليكن ما حضر مطويًا فقلت : سبحان الله فقال اذا كان غداً فصر الى المجلس لتر ما أعاملك به ، فنهضت فقال يا غلمان بأسركم بين يدي ابي عبدالله فخرج بين يدي نحو مائتي غلام وعدت الى داري ولما طلع الفجر واسترحت وجئته في المجلس فعرفني الذين كانوا بحضرته ما جرى من التفريط التام ، وعاملني بما شاهده الحاضرون وامر بانشاء الكتب الى عمال النواحي باعزازي واعزاز وكلائي وعمالي ، وصيانة اسبابي وضياعي ، فشكرت الله وقمت فقال : يا غلمان بين يديه فخرج الحجاب يجردون سيوفهم بين يدي ، والناس يتعجبون : ولم يعلم احد سبب ذلك ، فما حدثت بذلك الا بعد القبض عليه . قال لي ابو علي هل هذا فعل من يحكى عنه تلك الحكايات قلت : لا . وقد حكى التنوخي ان ابن الحصاص صودر في ايام المقتدر فارتفعت مصادرته سوى ما بقي له من الظاهر وكانت ستة آلاف الف دينار اه .

هذه جمل جميلة من اخبار الحمقى والمغفلين وانت ترى ان منهم من كانوا يتحامقون او يتباهلون لنكتة او تخشية نكبة وأخبارهم مهمة لان منها ما يفيد في وصف الحالة الاجتماعية والادبية في عصرهم وسنعود في طريد هذه الحلبة الى اقتطاف شيء من اخبارهم نقصد منها حكمة وقد تقع الحكمة للابله والاحمق كما تقع للمجنون وقديمًا أُلف في عقلاء المجانين الحسن بن حبيب النيسابوري وابن ابي الدنيا وابن لقمان وسهل بن علي البغدادي (راجع م ٢ من مجلة المقتبس ص٣٦) فان ألف ابو الفرج بن الجوزي كتاب الحمقى والمغفلين فقد ألف كتاب الاذكياء وذلك حتى لا تضيع اخبار الناس على اختلاف طبقاتهم ويكون من كتبهم عظات بالغات واحماض مستملح .

محمد كرد علي

تصحيح نهاية الارب

(نهاية الارب في فنون الادب) — لشهاب الدين احمد بن عبدالوهاب النويري من أنفس كتب الادب العربي ، وأغزرها مادة ، وأجزلها عائدة ، وهو لعمري جدير بان يسمى (دائرة معارف الآداب العربية) لانه اخذ بنواصيها ، وأحاط بنواحيها ، وتتبع مسائلها الى أقاصيها ، وكان كل من عرف بخبر هذا الكتاب من عشاق الكتب العربية القديمة تمنى لو يُكشف عن معدنه ، ويستخرج من مكمنه ، حتى قيض الله له (إدارة مطبعة الكتب المصرية) فتوفرت على العناية بطبعه ونشره فاستحقت بصنيعها الشكر والأجر .

ولقد طبعت منه الى اليوم خمسة اجزاء ، فجاءت متينة الورق ، حسنة الحرف ، مضبوطة بالشكل في كثير من كلماتها .

أُتيح لي مطالعة الاجزاء الاربعة من هذا الكتاب وقد مر بي في الجزء الاول منها بعض أغلاط فكنت أبادر الى تصليحها على هامش نسختي ثم انتبهت الى ان شأن هذا الكتاب ليس كشأن كتب الادب الأخرى ، التي تنشرها المطابع نثرا ، بل ان له منزلة خاصة تستدعي العناية بتصحيحه ، وإماطة الرغوة عن صريحه ، فرأيت ان اخدم قرّاءه ومن اقتنى نسخة منه وهم كثيرون — بتتبع اغلاطه ، وان اجمعها على حدة مرتبة بحسب الصفحات والاسطر ثم اعمل على نشرها في مجلة المجمع ، وهكذا اتممت الجزء الاول والثاني ، واحصيتُ ما فطنت له من أغلاطها فكانت نحو الستين في كلا الجزئين ، والذي يظهر ان معظم الاغلاط ثابت في اصل النسخة المخطوطة فلم ينتبه المصحح اليه ، وبعضها مما يسمى (غلطاً مطبعياً) ، وليس هذا بالامر المهم في جنب كثرة الصواب والصحة فإن وجود ثلاثين هفوة في نحو (٤٠٠) صفحة مما لا يمكن التحرّز منه ، ولا يلام مصحح الكتاب على الذهول عنه .

اما الجزآن الثالث والرابع فان الحال فيهما قد اختلف عن الجزئين الاولين كل الاختلاف اذ كانت آثار الاهمال بادية في معظم صفحاتها حتى تجاوزت في الجزء الثالث نحو (١٥٠) وفي الرابع نحو (٨٠) ولم أطالع الجزء الخامس بعدُ لأرى منزلته بالنسبة الى إخوته .

وها انا ذا انشر في هذا الجزء من المجلة اغلاط الجزء الاول ثم انشر في الاجزاء التالية

اغلاط الاجزاء الاخرى . وهناك جمل وعبارات غامضة المعنى وقع في خلدي ان فيها تحريفاً او تصحيفاً لكنني لم اهتد الى وجه الصواب فيها فأهملتُ التعرض لها في تصحيحاتي هذه . بيد اني جمعت اوأشرت الى طائفة منها على ظهر نسختي مستأنياً فيها أخاً من الفضلاء يعينني على كشف غمّاها . وحل معماها . فأكون له من الشاكرين .

✡ ✡ ✡

جاء في ص ٢٧ س ٩ (والمياه وامدادها) صوابه وأعدادها جمع (عِدّ) بالكسر وهو الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع . هذا هو الصواب والا تكرر مع ما بعده ومثله في ص ٢١٢ س ١٣ (كثير الأمداد والثلوج) صوابه الأعداد .

وفي ص ٣٤ س ٦ (شمال ومُرزم) قال مصحح الكتاب المرزم (وضبطه كمكرم) الثابت القائم على الارض اه . وصوابه مِرزم كمِنبر اسم لنوء بارد فالشاعر يقول ان ازرار اثواب تلك الظلمة انواع الرياح : ما بين شمأل ومرزم .

وفي ص ٤٦ سطر ١٩ (صرت صقليا) صوابه صقلبيا ايقابل (زنجيا) قبله ويكون فيه اشارة الى قول ابن سينا في مقصورته :

(في الزنج حرٌ غيّر الأجسادا حتى كسا جلودها سوادا)

(والصقلب اكتسبت البياضا حتى غدت جلودها بضاضا)

وفي ص ٨٠ سطر ٧ (ايدي الحبائب والصَبا) صوابه الجنائب جمع جنوب وهي ريح تقابل ريح الشمال ويكون معها الخير والتلقيح .

وفي ص ٩٢ س ١١ (اقلب يُحِبّ) صوابه (يجب) مضارع وَجبَ القلب خفق ورجف . فهو يشبّه برق السحابة بالقلب الخافق لا المحبّ الوامق .

وفي ص ١٣٥ سطر ٦

(ليلٌ كما شاءت فان لم تزر طال وان زارت فليل قصير)

صوابه (ليلي كما شاءت ..... فليلي قصير) انما يصف الشاعر ليله لا ايّ ليل كان . وكذا البيت الذي بعده س ٩ (ليلي .... لا ليل) .

وفي ص ١٥١ س ٢ (ان يوم الشر لا كان عتيدا) صوابه عتيد بالرفع خبر . و (لا كان) جملة معترضة دعائية . فالشاعر يقول اذا سنح يوم يصلح للهو لا تضيعه لأن

يوم الشر حاضر بالمرصاد . ثم دعا عليه ان لا يكون . على أن نصب (عتيد) ان جاز فعلى استكراه وتكلف .

وفي ١٧٥ س٣ (واجتُثت رواحله) صوابه (واحتثت) بالحاء المهملة من حثّ الدابة ساقها بعنف . ولا معنى للاجتثاث هنا .

وفي ص١٧٨ س١٧ (مدخور الكسب) صوابه (مذخور) بالذال المعجمة من ذخره خبأه لوقت الحاجة اما (دخر) بالدال المهملة فلازم ومعناه ذلّ . وذالُ (ذخر) قد تقلب دالاً مهملة . ولكن هذا في باب الافتعال فيقال (مدّخر) لا في الثلاثي .

وفي ص٢٠٢ س١ (فهي بَوْر) ضبطها المصحح بفتح الباء و صوابه بضمها فانها هي الارض التي لم تهيأ للزراعة اما (بَوْر) بفتح البـاء فهو مصدر بارت الارض بوراً لم تزرع حتى أصبحت بُوراً .

وفي ص٢٢١ قال المؤلف ان من اسماء الجبال (الأرعن) وقال المصحح انه من تحريف النساخ وصوابه (الرعن) وهو أنف الجبل المتقدم او الجبل الطويل . وماقاله المصحح غير صحيح لان الارعن هو الجبل ذو الرعان اي الانوف المتقدمة . قال في الأساس (جبل أرعن ذو رعان طوال) . وفي ص٢٢٧ قول ابن خفاجة الاندلسي :

(وأرعن طماح الذؤابة باذخ يطاول اعنـاق السماء بغارب)

وفي ص٢٢٨ س٢ (تمنطق بالجوزاء ليلاً ، له خصر) هكذا بعلامة (،) بعد قوله (ليلاً) وهذا يوهم ان (له خصر) مبتدأ وخبر . وليس كذلك بل ان قوله (خصر) فاعل تمنطق و (له) صفة له فالصواب حذف هذه العلامة (،) .

وفي ص٢٣٤ و٢٣٩ و٢٤٩ وَرَدت كلمة (أُطمة) مراداً بها بركان النار وجمعها على (آطام) والصواب (أُطيمة) : بيان ذلك ان الاطمة كأكمة الحصن . ومثله الأُطم كعُنق وجمعهما آطام . واما أَطيمة كسفينة فهي موقد النار واتون الحمام ايضاً . وتجمع أَطيمة هذه على أطايم قال الافوه الاودي :

(في موطنٍ ذرب الشبا فكأنما فيه الرجال على الأطايم واللظى)

فما في نهاية الارب والمسعودي (جزء ١ ص١٧٦) من تسمية بركان النار (أَطمة) على وزن أكمة وجمعها على آطام كآكام — خطأ والصواب (أَطيمة) وجمعها (أَطايم)

اذ لا معنى لتسمية بركان النار باسم الحصن . وانما المناسب ان يسمى باسم الموقد والأتون بجامع التوقّد والتلظّي والرمي بالشرر في كل منهما . وهذا ما كان يريده كتاب العرب الاقدمون مذ سموا البركان (أطيمة) حتى جاء نساخ كتبهم فحرفوا قولهم .

وفي ص ٢٥٣ س ١ — مدينة اتلو (كثيرة المقات والنخل) هكذا بالتاء وصوابه (المقاثي) بالمثلثة جمع مقثأة وهي الارض تزرع قثاء .

وفي ص ٢٥٧ س ١٥ في صفة سفن البحر (جامحات بلا غرام جماح) صوابه (عرام) وهو الشدة والحدة والشراسة اي ان اشتداد جماحها لم يكن عن قصد منها وإرادة لانها جماد لا شعور فيه . وهو المناسب لقوله قبله (ساكنات بلا خضوع سكون) اي انها اذا سكنت لم يكن ذلك منها عن ارادة واختيار .

وفي ص ٢٥٨ س ١٢ يصف الكاتب شانياً وهو ضرب من السفن فقال (حذراً على ألواحه من الأنخاع) صوابه الانخلاع اي الانتزاع والتفكك من مواضعها .

وفي ص ٢٥٩ س ٨ يصف الكاتب البحر فيقول (وراحة الريح تصافح عُبابه مصافحة الخِل . ونطوي جناحه طي السجل) صوابه (وتطوى حبابه) والحباب معظم الماء او سطحه بما يعلوه من النفاخات واليعاليل . ومثله قول طرفة بن العبد في معلقته (يشق حباب الماء حيزومها بها) ولا معنى لكون راحة الريح تطوي جناح البحر كما لا يخفى . ثم قال (وتجول من لجبه ابراداً . وتصوغ من حبكه ازراداً) وصوابه تحوك بالكاف وهو ظاهر .

وفي ص ٢٨٢ س ١٨

(كبساط وشي جرّدت ايدي القيان عليه نصلا)

يصف روضاً . والصواب القيون مكان القيان لان القيان جمع قينة وليس من شأنها تجريد النصل وهو السيف . وانما هو من شأن (القين) وهو الحداد وجمعه قيون .

وفي ص ٢٨٣ س ٥

(وترى الرياح اذا مسحن غديره وصفينه ونقين كل قذاة)

صوابه (صفّينه) من دون واو وجواب (اذا) وهو بتشديد الفاء من التصفية والمعنى ان الرياح تصفّي ماء الغدير اي تجعله صافياً . وكذلك (نقين) صوابه (نفين) بالفاء

الموحدة اي ان الرياح تنفي وتطرد القذى عن وجه الغدير ولا معنى لها بالقاف لانه لم يرد نقاه ثلاثياً بمعنى نقاه المشدّد ٠

وفي ص ٢٨٣ سطر ١١

(والنهر مكسوّ غلالة فضة فاذا جرى سيل فثوب نضار)

جعل النهر من فضة حتى اذا جرى السيل احمر ماؤه فلبس ثوب نضار ٠ وهذا مفروض في ان السيل يحمل طيناً وتراباً احمر فيلوّن ماء النهر ٠ وليس هذا مما يقوله فحول الشعراء ٠ وانما البيت محرف وصوابه (فاذا جرت أُصل فثوب نضار) والأُصل جمع اصيل وهذا على حد قول ابن خفاجة ٠

(والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء)

وفي ص ٣٠٤ سطر ١٩ (وأنطعه « اي البيت الحرام » بعظمتي ٠ واحوزه بحرماتي) وقد فسّر (انطعه) في هامش الاصل بانه من النطع وهو بساط من جلد قال المصحح وفي بعض النسخ وانطفه بالفاء اه ٠ اقول وكلاهما خطأ ٠ وصوابه (أنطّقه) بالقاف المثناة وتشديد الطاء من نطقه جعل له نطاقا ٠ والمعنى انه تعالى جعل لبيته المكرم نطاقاً من عظمته اي انه حاطه بعظمته فكان عظيماً جليلاً في الامم والشعوب ٠ وكذلك قوله (وأحوزه) بالحاء المهملة خطأ وصوابه (أعوذه) بالعين المهملة والواو المشددة والذال المعجمة اي انه تعالى جعله حرماً آمناً فكان ذلك بمثابة عوذة له تقيه وتحميه ٠

وفي صفحة ٣٤٧ سطر ١٠ — جاء في الآثار في صفة ارض مصر (ارض حافظة مطبقة رحيمة) صوابه (خاضعة مطيعة) فان وصفها بالخضوع والطاعة مناسب لوصفها بالرحمة ٠

وفي صفحة ٣٦٣ سطر ٧ يصف المأمون (تراب النقل) وهو الطين الذي يتنقل به اي يؤكل ويسمى في بلاد حلب (بيلون) وفي دمشق التربة الحلبية :

(ذاك الذي يُحسب في مثله أحجار كافور عليها عبير)

صوابه يحسب في شكله ٠

وفي صفحة ٣٦٧ سطر ١٧ (وتَنَبَّتتُ من بلاد الترك خاصيةً) كذا ٠ ثم ذكر تلك الخاصية التي لتلك البلاد ٠ اقول وصوابه (وتبدّت من بلاد الترك خاصيةٌ الخ) برفع (خاصية) وتبدّت بلاد مشهورة هي تعتبر اليوم قسماً من بلاد الصين لكنها في الحقيقة من

بلاد الترك لان سكانها من اصل مغولي · وهي مشدّدة الباء عند جغرافيي العرب اما جغرافيو الافرنج فيخففونها ·

وفي صفحة ٣٦٩ سطر ٨ سرد المؤلف خصائص البلاد وذكر منها (بجادي بلخ) وصوابه (بخاتي بلخ) وهي ضرب من النياق اشتهرت بها بلاد بلخ · والمصحح نفسه أشار الى هذا في ذيل الصفحة ٣٦٤ ·

وفي صفحة ٣٧٣ سطر ١ — ضرب جبريل برج بابل (بخافقة جناحه) صوابه بخافية جناحه اي احدى خوافي جناحه · وهي الريشات الصغيرة تخفى حينما يطوي الطائر جناحه وتكون تحت القوادم · ولو كان المراد (بالخافقة) من الخفق لقال (بخافق جناحه) لان الجناح مذكر ·

وفي صفحة ٣٧٦ سطر ١٣ في صفة سد يأجوج ومأجوج (وفوقه شُرّافات حديد في طرف كل شُرّافة قرنان الخ) هكذا بتشديد الراء وزيادة الف بعدها وهو خطأ وصوابه (شُرْفة) على وزن غرفة وجمعها (شُرُفات) كغرفات · اما (شُرّافة) بالضم والتشديد فمن كلام العوام ·

وفي صفحة ٣٨٥ سطر ١٢ الخطأ هنا من مصنف الكتاب نفسه رحمه الله فانه تكلم على حصن السموأل المشهور المسمى (الأبلق الفرد) وقال انه يضرب به المثل وفيه يقول الشاعر:

(طلب الأبلق العقوق فلما لم ينله فرام بيض الأنوق)

ولعل صواب هذا البيت ايضاً (أراد بيض الأنوق) مكان (فرام) لأن الفاء لا تقع في جواب (لما) · و (الأبلق العقوق) هو الفحل الذي يحمل اي يلقح · وهذا بالطبع غير موجود فهو كبيض الأنوق يضرب بهما المثل في الندرة أو عدم الوجود · ولا معنى للتمثل به هنا كما لا يخفى · وكأن المصنف ذهل فتمثل بهذا البيت وهو يريد بيت السموأل في قصيدته المشهورة ·

(هو الابلق الفرد الذي شاع ذكره يعزّ على من رامه و يطول)

وفي صفحة ٤٠٤ سطر ٥

(نصبتُ له في الارض بيت حديقة تمدّ لها في الجو كفًا ومعصما)

الضمير في (له) يرجع الى الحصن الذي يصف هدمه بالمنجنيق ثم وصف المنجنيق

وسماه (بيت حديقة) لكنه أعاد الضمائر على (بيت الحديقة) مؤنثة مذ قال (تمدّ لها) ثم قال (لها أخوات للمنايا كوامن الخ) ولا معنى لان يكون لها (اي لبيت الحديقة) اخوات فالكلمة محرفة ولعلّ الصواب (بنت الحديقة) والحديقة البستان . ولا نعرف لماذا كني عن المنجنيق ببنت الحديقة وربما كان في الكلام تحريف آخر .

وفي صفحة ٤١٦ سطر ٤ .

(يثير ضباباً بالبخار محدّلا بدورَ زُجاج في سماء قباب)

يصف الحمام . والتجديل ضفر الشعر وان تلقي آخر على الجدالة وهي الارض . ولا معنى لجعل هذا من صفة البخار . وانما الصواب (مجلّلا) على صيغة اسم الفاعل و (بدور زجاج) مفعوله . والمعنى ان البخار لما تصاعد جلل وغشى الزجاجات التي تتراءى في سماء قبة الحمام كأنها بدور .

هذا ما انتبهنا اليه من اغلاط هذا الجزء وقد يكون هناك أخوات لها لم ننتبه اليها . لكنها قليلة في غالب الظن . وسننشر في الجزء الثاني من هذه المجلة الاغلاط التي وقعنا عليها في الجزء الثاني من (نهاية الأرب) .

المغربي

مطبوعات حديثة

كتاب الدرة الفاخرة
« في كشف علوم الآخرة »

للامام الغزالي طبع في ليبسيك (المانيا) سنة ١٩٢٥ في (١١٠) صفحات

كان هذا الكتاب طبع في (جنيف) سنة ١٨٧٨م ثم في السنة الماضية اي سنة ١٩٢٥ أعاد طبعه في ليبسيك المستشرق الفاضل الاستاذ (لوسيان غوتيه) بعد ان قابله على عدة نسخ في مكاتب ليبسيك و برلين و باريس واكسفورد . وقد ألحق به ترجمته باللغة الافرنسية في نحو (٩٠) صفحة وعلق عليه هوامش وشروحاً مسهبة توضح اختلافات النسخ . وبالجملة فان ناشر الكتاب لم يأل جهداً في تحرير هذه النسخة وتقريب الفائدة منها . فجزاه الله عن هذه الخدمة الشريفة خيراً . ولا بد هنا من ذكر كلمة قد تكشف شيئاً من الريبة والاشكال ذلك ان من دأب علماء الاسلام التدقيق في نقل الاحاديث التي تتعلق بالحدود والقصاصات والانكحة وغير ذلك من ضروب المعاملات المدنية وينبني عليه حكم الحاكم أما ماليس كذلك من الآثار مما فيه حض العامة على فعل الخير والارتداع عن الشر فانهم يتساهلون في النقل والرواية غاية التساهل . وهكذا كان شأن الامام الغزالي في كتابه هذا . وشأن ابن قيم الجوزية في كتابه (حادي الأرواح الى دار الأفراح) فلا يتعجبن متعجب من مثل هذين النحريرين المدققين النقادين كيف رويا في كتابيهما المذكورين طائفة من الاحاديث والآثار الضعيفة !! ذلك لما قلناه من توخيهم حمل العامة والدهماء على الفضائل وردعهم عن الرذائل بأية طريقة كانت . « المغربي »

عم متولي
« وقصص أخرى »

محمود بك تيمور نجل العلامة احمد باشا من شبان مصر العاملين بنشاط في الاصلاح الاجتماعي ، وقد اختار لنفسه من طرق هذا الاصلاح طريقة كانت من اكبر عوامل

التهذيب في نهضة اوربا الحديثة وهي الطريقة القصصية اي بث المواضيع الاجتماعية اوالعلم الاجتماعي بين الجمهور من طريق القصص وابتكار الروايات ، وهنالك فرع من هذا الفن اوناشطة من هذا الطريق سلكها المؤلف وهي القصص القصار التي تلذ مطالعتها جمهور القراء على نمط القصص التي عني بها الكاتب الافرنسي (موباسان) واشتهر بها ايما اشتهار .

وقد أصدر الفاضل الموماليه في العام الماضي الحلقة الاولى من سلسلة هذه القصص القصار ودعاها (الشيخ جمعة وقصص أخرى) فصادفت رواجاً بين القراء وكان لها موقع في نفوس الكتاب والمتأدبين فقرظوها وأثنوا على مؤلفها أحسن ثناء وقد عاد اليوم فأصدر الحلقة الثانية من تلك القصص ودعاها (عمّ متولي وقصص أخرى) وهي تبلغ (٢٢٣) صفحة مفتتحة برسم (العم متولي) وبمقدمة من قلم المؤلف ومختتمة بأقوال الكتاب وأرباب المجلات والصحف وهي تشهد للمؤلف بحسن الابتكار والاجادة في هذا الموضوع الذي فرغ له . ويظهر لنا ان حداثة هذا الفن صادفت حداثة من سن هذا الفتى النبيل فائتلفا وتحابا وسيكون من هاتين الحداثتين الغضيتين دوحة عظمى يتفيأ ابناء لغة الضاد ظلها الوارف ويجتنون ثمرها الناضج . له

اعلام المقتطف

« اصدرته مطبعة المقتطف والمقطم بمصر في (٣٢٠) صفحة »

المراد باعلام المقتطف العلماء الاعلام الذين وردت ترجماتهم في مجلدات المقتطف السابقة من الذين اشتغلوا بالعلم والفلسفة او كان لهم شأن في ترقيتهما . وهذا الجزء هو القسم الاول من أجزاء عدة ستظهر على التوالي وتضمن بقية التراجم ممن لم يذكر اسمه في هذا الجزء . ومن تصفح هذا الجزء ووزن الفائدة التي تنال من دراسته وعلم ان هذا الجزء انما هو بعض من كل — أدرك ما للمقتطف ومجلداته الخمسين — من الاثر البيّن في نهضتنا العلمية والفكرية .

نُفضت مجلدات المقتطف فانتثر منها هذا الجزء في بعض التراجم فما ظنك لو نفضت هذه المجلدات المرة بعد المرة فكم من مصنَّف جليل في المواضيع المختلفة ينتثر من خلال صفحاتها . وتضاعيف أبحاثها ؟؟ حقًا ان مجلدات المقتطف دائرة معارف كبرى

تنافس مكتبتنا العربية بها سائر مكاتب العالم المتمدن · وقد افتتحت تلك التراجم بترجمة خمسة من فلاسفة اليونان ثم تلاها ترجمة ثمانين من علماء العالم المتمدن يتخللهم سبعة من علماء الشرق : هم شفيق بك منصور وعلي باشا مبارك وسالم باشا سالم واحمد كمال باشا من المصريين · والاستاذ بطرس البستاني والدكتور ورتبات والدكتور شميل من السوريين ومعظم أصحاب التراجم نشرت صورهم في جانبهم · فكان الكتاب سفراً نفيساً يحرص عليه اللبيب ، ولا ينبغي ان تخلو منه مكتبة أديب · له

كتاب الادب لابن المعتز

ابن المعتز هذا هو عبد الله بن المعتز الخليفة وواضع فن البديع وكتابه هذا ليس هو في فن الأدب الاصطلاحي اي أدب الدرس · وانما هو في أدب النفس وتهذيب الاخلاق فهو مجموعة مواعظ وحكم اقتطف اكثرها من كلام المتقدمين وفيها نوادر من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه · قال ابن المعتز في مقدمة هذا الكتاب : «وقد ألفته سنة ٢٧٤ واول من نسخه مني علي بن هرون المنجم» · وفصول الكتاب في الوعظ بعضها قصار وبعضها طوال ، وقد ظفر بنسخة من هذا الكتاب المستشرق الروسي الكبير الاستاذ (كراجكوفسكي) أحد اعضاء مجمعنا العلمي فنشره في كراس وجعله ملحقاً بمجلة (العالم الشرقي) وحرر ألفاظه غب مقابلتها على نسخ مختلفة وقدم له مقدمة باللغة الافرنسية استغرقت ست عشرة صفحة حقق فيها من امر هذا الكتاب ما يهم الاطلاع عليه كل كاتب أديب · والكتاب لطيف الحجم لا تتجاوز صفحاته خمسين صفحة ملئت أدباً وحكماً وأخلاقاً عالية · وقد طبع في (ابسالا) احدى حواضر اسوج · ولما كان كثير من هذه الحكم غير مشهور بين الادباء والكتاب أحببنا ان نقتبس منها الى مجلة المجمع ما فيه فائدة :

النمام جسر الشر · انما أهل الدنيا كصُوَر في صحيفة كلما نشر بعضها طوي بعضها · لا ينبغي للعاقل ان يطلب طاعة غيره وطاعةُ نفسه عليه ممتنعة · ما أدري ايما أَمرُّ : موت الغني او حياة الفقير ؟ · كما لا يُنبت المطر الكثير الصخر كذلك لا ينفع البليد التعليم · العالم يعرف الجاهل لانه قد كان جاهلاً والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن

عالماً . لا تسرع الى ارفع موضع في المجلس : فالموضع الذي تُرفع اليه خير من الموضع الذي تحط منه . الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سيره نحوك . لم يكتسب مالاً من لا يصلحه . كثرة مال الميت يعزّي ورثته عنه . الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت بها . علم الانسان ولدُه المخلَّد . لا تقطع أخاك الا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه ولا تتبعه بعد القطيعة وقيعة (طعناً) فيه فتسد طريقه عن الرجوع اليك ولعل التجارب أن ترده اليك وتصلحه لك . من أحسَّ بضعف حيلته عن الاكتساب بخل . الميت يقلّ الحسد له و يكثر الكذب عليه . كأن الحاسد خُلِق ليغتاظ . طلاق الدنيا مهر الآخرة . التواضع سلّم الشرف . يستحق الانسانية من حسن خُلُقه . يكاد السيء الخلق يُعدّ من السباع . لما عرف أهل النقص حالهم عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظّم كبرهم صغيراً و يرفع حقيراً وليس بفاعل . لا فرق بين جاهل يتبلّد و بهيمة تقاد . خير الاختلاف ما اجتنب معه التمادي في الباطل واهتدى فيه بالصبر الى الحق . من ترك العقوبة أغرى بالذنب . اذا ترعرع الولد تزعزع الوالد . الاسخياء يعبدهم المال والبخلاء يعبدونه . الحكمة شجرة : تنبت في القلب وتثمر في اللسان . الشرير لا يظن بالناس خيراً لانه يراهم بعين طبعه . العتاب حياة المودة . كما ان جلاء السيف أهون من صنعه كذلك استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره . ما مات من أحيا علماً . من عدَّد نعمه محق كرمه . من يتمنى العمر فليدّرع صبراً على فقد أحبابه . من يعمّر يلق في نفسه ما يتمناه لاعدائه . له

الذكرى

اسم لمجموعة شعرية بليغة تتضمن نشائد نظمها شاعر العرش الانكليزي (الفرد تنسون) تذكاراً لحياة صديقه (ارثر هلَم) وقد كانت وفاة هذا الشاعر سنة(١٨٩٢)م وأول ديوان نشره من شعره سنة ١٨٣٠ كما ان آخر ديوان نشره هو ديوانه (الذكرى) هذا فقد نشره سنة (١٨٥٠) . اما صديقه الذي جعل هذا التذكار باسمه فهو شاب من أترابه عرَفه في جامعة (كمبريدج) واستحكمت بينهما عرى الالفة والصداقة وقد أحب الشاعر ان تبقى ذكراها خالدة فأحياها بنشر هذا الديوان من شعره الخالد

الذي قال فيه (ستدمان) « ان في شعر (تنسون) ما يمثّل لنا أرقى معاني الفن الجميل » . وقد عمد الى هذا الديوان أديب كبير من أدباء العرب في سورية وهو السيد أنيس الخوري استاذ الآداب العربية في جامعة بيروت الاميركية فنقله الى لغتنا العربية شعراً وقد قدم له مقدمات في التعريف بناظم الديوان . ومنزلته بين الشعراء الاوربيين ثم (الذكرى) ما هي وكيف نظمت ، ثم كلمة في المقارنة بين الشعر الحديث والشعر القديم . ثم سرد النشائد دوراً فدوراً حتى بلغت (١٣١) نشيداً . وكل نشيد او دور يتألف من بضعة مقاطيع وقلما جاوز الدور العشرة منها . وقد افتتح كل دور بجمل تتضمن وصف العواطف التي ثارت في نفس الشاعر فحملته على نظم النشيد والتغني به . فمن كل ما تقدم يتضح للقارئ الاديب مبلغ جمال هذه الاناشيد وفائدتها لمحبي الادب والشعر لا سيما المولعين بالمقارنة بين الادب العربي والادب الافرنجي . والكتاب مطبوع طبعاً متقناً في المطبعة الاميركانية في بيروت . فنشكر للمترجم البارع ، ونستميل أنظار أبناء العربية الى هذا الأثر النفيس . له

هدية كتب للمجمع

أهدى الى مكتبة المجمع العلمي السيد عيسى البابي الحلبي الكتبي الشهير بمصر كتباً اربعة مما طبع في مطبعته (مطبعة دار إحياء الكتب العربية) :

(١) كتاب (تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك) ولا يخفى ان الموطأ وشروحه طبعت مراراً ولكن هذا الشرح للسيوطي لم يطبع حتى انبرى له السيد عيسى الموما اليه فطبعه على طريقة حديثة : ذلك انه وضع المتن في اعلا الصفحات مفصولاً عن الشرح بجدول والمتن مضبوط بالشكل الكامل على ورق صقيل وحرف حسن . ولاجل زيادة الفائدة ألحق به كتاب (إسعاف المبطأ برجال الموطأ) للعلامة السيوطي نفسه . ولا غرو ان يقبل علماء الاسلام لا سيما المتخصصين في علم الحديث منهم على اقتناء هذا الكتاب . وهو يتألف من ثلاثة أجزاء مجموع صفحاتها ٨٣٥ صفحة بالقطع المتوسط .

(٢) الجزء الاول من (معراج البيان) اختيار وتصنيف الاستاذ الفاضل الشيخ

(علام سلامه) احد مدرسي (دار العلوم) بمصر . وقد قال في مقدمته (اصطفيت لشُداة الطلاب وعشاق الآداب نخبة صافية من اجود الكلام المأثور من بين منظوم ومنثور غير متقيد بعصر من العصور) . فالكتاب كتاب مطالعة لطلاب المدارس يستظهرون منه فتقوى ملكاتهم في اللغة العربية وآدابها ، فنلفت اليه انظار الاساتذة والمعلمين .

(٣) (عقود الفرائد في علم العقائد) تأليف العلامة الشيخ محمد بن علي بن حسين المالكي المكي والكتاب في فن العقائد الاسلامية المسمى بعلم الكلام ايضاً . ويظهر ان المؤلف متوطن في بلاد الجاوه . فقد قال في آخر كتابه انه تم في (ذي الحجة عام ١٣٤٣ وكمل تحريره في سومطره) وهو يبلغ مئة صفحة على ورق نباتي وله فهرس مطول .

(٤) (فتح المنفكرين) هو كتاب ديني ايضاً ألفه الشيخ (عثمان بن شهاب الدين) ويظهر انه من علماء جاوه ايضاً لان الكتاب مكتوب بلغة غير عربية ولعلها الجاوية . وربما كان الكتاب شرحاً لرسالة السيد زيني دحلان المشهور . وهذه الكتب الاربعة كلها طبعت في مطبعة السيد البابي فنشكر له هديته .

هدية لطيفة

اهدى المسيو جان مليا Mélia للمجمع العلمي اربعة كتب من تأليفه باللغة الافرنسية وهي المدينة البيضاء ، الجزائر وعمالتها (La Ville Blanche Alger et son département) وبول ديشانيل (Paul Deschanel) ولاغوات او الدور المحاطة بحدائق (Laghouat ou les maison entourées de jardins) ومدام سانت جنيفياف (Madame Sainte Geneviève) والمؤلف من الكتاب الذين عنوا بالاشتغال في الشؤون الاسلامية كثيراً ولا سيما حالة مسلمي افريقية فنشكره باسم المجمع على هديته .

كلمة في اللغة العربية

للاستاذ إسعاف النشاشيبي عضو مجمعنا العلمي — بالنسبة الى اللغة العربية — مزايا اربع تحققت فيه . واشتهر بها : فهو راسخ القدم في آدابها . حريص على الاشادة بذكرها . شديد السخط على من يناوئها . متوفر على خدمة من يخدمها — مزايا اربع لم نعهدها اجتمعت في احد من أناسيّ هذا الزمان اللهم الا رجلاً لا نعرفه . ان هذه المزايا هي الدين الذي انقطع الاستاذ اسعاف لممارسته . انقطاع الناسك لعبادته . والراهب في صومعته . وهي التي جعلته يلقب بحقٍ (اديب فلسطين الكبير) وكما استأثر السيد اسعاف بهذه المزايا الاربع تفرّد أيضاً بامرٍ خامسٍ ناظرٍ الى اللغة العربية ايضاً . ذلك استفراده باسلوبٍ في الانشاء العربي عُرف به كما عُرف الجاحظ بطريقته بين المنشئين المتقدمين . وكما عُرف احمد فارس بنمطه في الكتّاب المتأخرين . وكذلك شأن أديبنا إسعاف في المعاصرين .

اذا عُرض عليك عدة قطع من منثور الكلام لكتّاب مختلفين قد يصعب عليك أن تميز بينها . وتعزو كل قطعة الى صاحبها . اما اذا كان بينها قطعة من انشاء الاستاذ اسعاف فانك من اول وهلة تتبين حالها . وتتنسم روحه من خلالها .

يمتاز ما يكتبه الاستاذ اسعاف بما تضمنه من الكلمات والتعابير اللغوية المختارة التي اصبحت بالنسبة الى كثير من أدباء زماننا كأنها من « غريب اللغة » . هذا من جهة المفردات . أما من جهة السبك والتركيب فان الاستاذ اسعاف يسلك من ابواب «الفصل والوصل» و«الايجاز» و«الإطناب» و« الاعتراض» و«الاستطراد» و« الغلوّ » و «التهويل» و«التفخيم» طرائق خاصة لم نعتد سماعها في كتابة غيره من بلغاء الكتّاب . ولذلك كان قارئ كتاباته مضطراً ان يبقى على انتباه ويقظة لما يمر تحت نظره . والا أضاع السياق . ثم أعجزه اللحاق .

وأقرب الشواهد على ماقلنا من مزايا الاستاذ اسعاف التي منها تفانيه في لغته العربية — كتابه الذي نشره حديثاً وأسماه (كلمة في اللغة العربية) البالغ مئة صفحة . وكان الذي بعثه على وضع هذا الكتاب انه زار القاهرة في السنة الماضية فاحتفى به فضلاؤها

أيّما احتفاء . وكلفته (جمعية الرابطة الشرقية) ان يلقي في دارها محاضرة . فألقى تلك الكلمة في مزايا اللغة . ووجوب التعصب لها . لتحيى الامة بحياتها . وقد جمعت كلمته هذه من بلاغة القول . ونصاعة البيان . والتفنن في أساليب الافصاح عن مناقب اللغة العربية — ما حمل كبار الكتاب والصحافيين في مصر على تقريظها والتنويه بصاحبها .

ولما عاد الاستاذ الى وطنه (القدس) اعاد نظره في تلك الكلمة فأضاف اليها (جزءاً آخر) على نمطها وأسلوبها . ثم علّق على الجميع في ذيل الصفحات شروحاً وهوامش غاية في الإمتاع والفائدة . كما ألحق في آخرها طائفةً مما قاله الكتّاب والفضلاء فيها .

وان الناظر في تلك الكلمة أصبح لا يدري ايّ الامرين اجزل نفعاً . واحسن شكلاً ووضعاً . أتلك الكلمة البليغة نفسها بما أودعته من افانين القول . ام ما عُلّق عليها من الشروح ذات الفائدة والطول ؟

وقد احسن الاستاذ صنعاً في طبعها على عينه في مطابع القدس : فانه بذلك جوّد ضبطها وتصحيحها . كما جوّد ورقها وحرفها وترتيبها . فكانت بذلك كله طرفة من طرف الأدب . وعقداً ثميناً في جيد لغة العرب .

وانا لنرجو للاستاذ صاحب هذه الكلمة ان يُتبعها من فيض علمه بكلمات . فانه « سبّاق غايات . وصاحب آيات » .

« المغربي »

نشر رسالة مخطوطة

في إصلاح أغلاط كلام الناس

كنت أرى بين مخطوطات مكتبتي رسالةً لطيفة الحجم اسمها (التنبيه على غلط العوام والنبيه) وهي تشتمل على إصلاح نحو مئة وخمسين غلطةً مما تزلُّ به ألسنة الناس في عصر المؤلف . ولم يُذكر على الرسالة اسم مؤلفها . ولا في أي عصر كتبت . وكانت — عدا قبح خطها — كثيرة التصحيف والتحريف . وهـذا ما ثبط عزيمتي عن نشرها في مجلة المجمع . مع ان موضوعها من أخص أبحاثه . ثم وقع لي اخيراً نسخة من هذه الرسالة لدى بعض باعة الكتب في دمشق حسنة الخط . لكنها ايضًا كثيرة الغلط والتحريف . وقد كُتب في آخرها أن مؤلفهـا هو ابن كمال باشا العالم التركي المشهور (المتوفى سنة ٩٤٠ هـ) . عندها تجددت الرغبة في تصحيح نسختي على هذه النسخة ونشرها في مجلة المجمع . فاجتهـدت اولاً في تحقيق أمر الرسالة . ونقصّي خبرها . والكشف عن غامض سرها . فوجدت أن اسمها الحقيقي (التنبيه على غلط الجاهل والنبيه) لا (غلط العوام والنبيه) كما هو في نسختي ولا (غلطات العوام) و (اغلاط العوام) و (سقطات العوام) كما سماها بعضهم .

اما (غلطات العوام) فانها اسم رسالة أخرى جمعها (المولى مصطفى بن محمد المعروف بخسرو زاده المتوفى سنة ٩٩٨ هـ) كما في كشف الظنون . وفي بعض نسخ رسالة ابن كمال باشا أن اسمها (التنبيه على غلط الخـامل والنبيه) وقد صوّب هذه التسمية صديقنا الاستاذ تيمور باشا قال : لأن الخامل يقابل النبيه . ويظهر انه لما شاع بين العلماء خبر هذه الرسالة في إصلاح الاغلاط لابن كمال باشا جعلوا يطلقون عليها اختصاراً اسم (غلطات اواغلاط اوسقطات العوام) يريدون ان هذا هو موضوع الرسالة لا اسمها الحقيقي .

هذا من جهة اسم الرسالة اما مؤلفها فهو على الراجح (ابن كمال باشا) المذكور . وانما قلنا (على الراجح) ولم نقل على القطع واليقين: لان كثيراً من نسخها لم يذكر فيه اسم مؤلفها قط حتى ان صـاحب كشف الظنون اغفل ذكره : فهو اما انه لم يعرفه او انه

تردّد بين ان يكون ابن كمال باشا او يكون الشيخ البركوي العالم التركي المشهور ايضاً والمتوفي سنة (٩٨١هـ) او غيرهما . ومن ثمه أهمل صاحب كشف الظنون ذكر المؤلف . وقد راجعت عن هذه الرسالة فهرست مكتبة برلين الخاص بالمخطوطات العربية وهو عشرة مجلدات ضخام موجودة في مكتبة المجمع فوجدته يكرر ذكر هذه الرسالة في غير ما موضع منه . ويظهر ان في مكتبة برلين نحو ثمان نسخ منها : ففي ثلاث منها أهمل ذكر المؤلف وفي اربع منها نسبت الى ابن كمال باشا : تارة باسمها الحقيقي . وتارة باسم (سقطات العوام) و (اغلاط العوام) لكن هذه التسمية للموضوع لا للرسالة كما ذكرنا آنفاً . وفي نسخة واحدة من تلك النسخ نسبت للبرجلي (اي البركوي) . وقد قال المستشرق منظّم الفهرست تعليقاً على بعض نسخ هذه الرسالة ما ترجمته (مؤلف هذه النسخة غير مكتوب اسمه عليها . والمؤلف إما محمد بيرعلي البرجلي (البركوي) وإما ابن كمال باشا . ومن الممكن ان يكون الاصح هو الاخير) اهـ .

وكتب لي الاستاذ تيمور باشا يقول : إنها لابن كمال باشا وان لديه ثلاث نسخ منها وكلها معزوّة اليه . ثم قال انه لا شبهة في ذلك . اما انا فأقول ان لديّ بعض الشبهة لما ذكرت آنفاً من إغفال صاحب كشف الظنون لاسم مؤلفها ولان منظم الفهرست الالماني قد شك وتردّد في المؤلف . ولابد ان يكون تردده ناشئاً عن كثرة مالديه من نسخ تلك الرسالة وعدم اتفاقها على نسبتها الى ابن كمال باشا .

وكانت هذه الرسالة طبعت منذ بضع واربعين سنة في ليدن طبعها الاستاذ الفاضل (الشيخ عمر السويدي[1]) في جملة رسائل وقد عزا (رسالة التنبيه) الى ابن كمال باشا وقال انه طبعها بعد ان عارضها بنسخة محفوظة في مكتبة مونيخ عاصمة بقاريا ثم قال (ان نسخته والنسخة المونيخية على جانب من التحريف والتصحيف لا يُدرك المعنى منه) . وقد تفضل

(١) ذكر الاستاذ تيمور باشا في كتابه الينا : ان الشيخ عمر السويدي هذا ناشر رسالة ابن كمال باشا — هو فيما يقال الكونت لندبرج المستشرق المشهور المتوفى في ٢٠ حزيران سنة ١٩٢٤ م يعني وليس هو من علماء الاسلام في بغداد كما يتبادر الى الذهن . ولعل احد المستشرقين من اعضاء مجمعنا العلمي يحقق لنا ذلك .

الاستاذ تيمور باشا فأرسل الينا هذه النسخة المطبوعة لنعارضها بنسختنا قبل نشرها في المجلة · فعارضناها وصححنا نسختنا عليها تصحيحاً استوفينا فيه الضبط الكامل اللهم الا بعض جمل بقي لنافيها شيء من شبهة وسنشير اليها في محلها من الرسالة · وقد علقت على الرسالة في ذيل الصفحات شروحاً · تزيد بعض الابحاث انكشافاً ووضوحاً ·

هذا وان طبع هذه الرسالة في اوربا منذ اكثر من اربعين سنة — لا يقلل من قيمة نشرها في مجلتنا الآن لان النسخ القليلة المطبوعة في اوربا نفدت واصبحت نادرة الوجود · فيكون في نشرها الآن فائدة نرجو ان تقع من القرا · موضع الرضا ·

محقق الرسالة وناشرها

المغربي

وهذه هي الرسالة :

(التنبيه على غلط الجاهل والنبيه)

« لابن كمال باشا »

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي جعلنا من زمرة من تكلم · ولم يجعلنا من الذين يحرفون الكلم · نحمده على ما شرف ألسننا[1] بالألسن والفصاحة · وعصمها عن الاتيان بما يوجب الفضاحة · ونصلي على سيدنا محمد الذي أفحم ببيانه[2] البديع كل خطيب · وعلى آله وصحبه ما ناح الحمام وغرد[3] العندليب · (اما بعد) فإن اول ما يجب ان يعلم · وأولى ما تبذل فيه الهمم · إقامة اللسان · وصونه عن الهذيان · اذ من الالفاظ تستفاد المعاني · وبها تظهر أسرار السبع المثاني · بل كل علم مفتقر اليها · وكل فن معول عليها · وقد شاع بين أصحابنا من السقطات · إما لعدم الالتفات · او لميل النفوس الى العادات · اولقلة الإلف باللغات — ما هو أجدر بالوأد من البنات · وأولى بالستر من السيئات · ولولا حدبي على الاخوان · وميلي الى الخلان · لضربت عن ذكره صفحا · وطويت عن نشره كشحا · أنفاً[4] من التعرض للألفاظ السخيفة ·

(١) في نسخة ألسنتنا (٢) في نسخة ببيانه (٣) في نسخة عزف اي صوت (٤) في نسخة انفة ·

وحذراً من التحكك بالعقول الضعيفة . اذ نحن في زمن أدبر فيه الانصاف . وأقبل الاعتساف . وغار[1] العلم وغاض . وفار الجهل وفاض . ووُضع فيه الرفيع . ورُفع فيه الوضيع . عُدّ الفضل فيه من المعايب . والعلم من المصائب . والعناد طباعا . والهوى مطاعا . وكم نادٍ وقع فيه الجدال . وارتفع فيه[2] القيل والقال . فقلتُ: أيّ خطب ادهى وافظع . وامرّ واوجع . من شيوع الاغاليط . ووقوع التخاليط . في اللسان العربي المبين . مرقاة مراتب علوم الدين . بين المدّعين في العلوم شمولا . وأن لهم فيها يداً طولى . فقالوا بعدما أطالوا : ان الغلط المشهور أفصح . فقلت حجبتم عن الحال[3] في صورة الحال بل هو افضح . لان الغلط الفصيح ان صح ان يكون . فلا اقل من ان يستعمله المولدون . واما الذي استعمله الجهّال فيما بينهم . فإنما زادوا به شينهم . وما أحسن ماقاله صاحب الإقليد . وهو اجدر بالقبول والتقليد : لوكان جَرْيُ العادة باستعمال هذا النحو[4] نسخة له حجة صحيحة للزم ان يصحّ كل ما استعمله العوامّ : من نحو القصر في الكسر . و بالجملة فاللحنُ كلالُ الكلام . ودليل القصور في الهِمم والأفهام . ألا ترى الى ابي الاسود الدئلي كيف يفتخر بصحة الكلام . والارتفاع عن طبقة العوام حيث يقول :

(ولا اقول لقدر القوم قد غَلِيَتْ ولا اقول لباب الدار مغلوق)

أوما ترى الى عبد الملك بن مروان كيف يقول مخاطباً لخالد بن يزيد : (أَفي عبد[5] الله تكلمني وقد دخل عليّ فما أقام لسانه لحنا) يعني انه جدير بالاحتقار . خليق بالاستصغار لاجل لحنه . (واما) قول الفزاري :

(منطقٌ رائعٌ وتلحن أحيا ناً وخير الحديث ما كان لحنا)

فليس مما نحن فيه : لانه من لحن له اي قال له قولاً يفهمه و يخفى على غيره .

---

(١) في نسخة وغاب (٢) في نسخة خيام القيل والقال (٣) في نسخة «عن الحال في صورة الحال» . وهذا من المواضع التي غمض علينا معناها وقد وعدنا بالاشارة اليها . (٤) قوله باستعمال الخ هو ايضاً من الجمل التي غمض علينا معناها . والنسخ سواء فيها . (٥) عبد الله هذا هو اخو خالد وقد دخل خالد على عبد الملك يعاتبه على ما صدر من ابنه الوليد بشأن اخيه عبد الله المذكور فقال له عبد الملك أفي عبد الله الخ راجع تمة القصة في ترجمة خالد ابن يزيد في الجزء الاول من ابن خلكان .

ثم اني لما رأيتهم لا يحومون حول الرشاد . ولا يدرون ماهم عليه من العناد . ووجدت للطعن فيهم مجالا . فقلت بديهة وارتجالا .

(الى الله اشكو التابعين بجهلهم   فنون المعاني بالدعاوي الكواذب)
(بتحريك رأس بعد لبس عمامة   وغمز بعين ثم رمز بحاجب)

ثم شمرت عن ساق الاجتهاد . وكحلت ناظري بكحل السهاد . فتتبعت ما شاع بينهم وذاع . وقلبته كما يقلب السماسرة المتاع . فجمعت الاغلاط المتداولة الا مالم يصل الى السمع . اوغاب عن الخاطر وقت الجمع . وحين ابى قلبي الا تحقيقه . ويدي الا تنميقه . رأيت ان لااقتصر على حلها[1] . بل آتي بالاوهام كلها . اذ ما من لفظ منها الا و يخفى على بعض وان كان على بعض جليًا . و يحتاج الى حله واحد وان كان الآخر عنه غنيًا . فأوردت الكل تعليمًا للمبتدي . وتذكيرًا للمنتهي . فحصل لي ما أربى على مئة لفظ من السقط . بعضها للخاصة وبعضها للعامة فقط . وذكرت مراعيًا ترتيبًا للحروف الاصلية في الاول والثاني . دون الآخر الذي هو أساس المباني . اذ لو اعتبر لزادت عدة الفصول والابواب . على حجم هذا الكتاب . وسميتها (التنبيه على غلط العوام[2] والنبيه) . وهاانا أشرع في المرام . مستفيضًا من الله الملك العلام . فنقول :

مما يجب ان يُعلم ان ماينبغي ان يجتنب من الالفاظ اقسام . قسم جوّزه بعض اهل اللسان مطلقًا او في حال من الاحوال . وقسم لم يجوّزه احد منهم ولكن شاع بين اهل التصنيف استعماله . وقسم لم يجوّزه احد ولم يستعمله الا من لا خبرة له بالكلام .

(أما) الاول فكالضفدع بفتح الدال والجنازة بفتح الجيم والحلقة بفتح اللام والنخمة بسكون الخاء : فأما الضفدع فالصحيح فيه كسر الدال . قال في الصحاح : وناس يقولونه بفتح الدال وانكره الخليل . وقال في القاموس ضفدع كدرهم قليل او مردود . واما الجنازة فاختار صاحب الصحاح فيها كسر الجيم حيث يقول : الجنازة واحدة الجنائز . والعامة تفتحها . وجوّز صاحب القاموس الفتح حيث قال : الجنازة الميت و يفتح او بالكسر الميت وبالفتح السرير . اوعكسه او بالكسر السرير مع الميت اه . واما الحلقة بفتح اللام فحكاه

(١) كذا في النسخ ولعل الأصوب جلها اي معظمها بدليل قوله بعده كلها .

(٢) صوابه (غلط الجاهل والنبيه) كما مر في كلمتنا التي حققنا بها اسم الكتاب في المقدمة .